روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

٢٤

الضوء الأسود

Looloo

www.helmelarab.net

١ ــ الشريد ..

خيَّم الصمت وعمَّ الظلام ، فى القاعدة العسكرية المصرية (بدر) على حدود مدينة (شرم الشيخ) ، وأشارت عقارب الساعة الذريّة إلى منتصف الليل تمامًا ، ولم تعد هناك إلّا أصوات حشرات الليل ، التى لم تنجح حتى حضارة القرن الحادى والعشرين فى التخلُّص منها .. وإلّا أضواء متناثرة فى مواقع الحراسة ، وعلى أبواب الفيلات الصغيرة ، التى يقيم فيها الضباط مع زوجاتهم وعائلاتهم .

ووسط هذا الصمت والظلام خرج ظل يختلط بالظُلمة ، ولم يلبث أن تحرَّك بحيث سقط ضوء مصباح خافت فوقه ، فاتضحت ملامحه ، وظهر جليًا أنه رجل .. كل ذرّة فى جسده توحى بأنه خائف .. مرتبك .. حائر .. يسير فى خطوات بطيئة ، ويتحسَّس طريقه بأطراف قدميه ، وذراعه ممدودة أمامه ، وكفه فى نهايتها تتحرَّك فى توتُّر وقلق وحيرة ، وكأنه يبحث عما يتشبَّث به .

وفى ارتباك نقل الرجل خطواته ، وازدرد لعابه ، وارتجفت أطرافه ، ثم نقل أقدامه فى خطوة أخرى ، فمست يده حاجزًا خشبيًا قصيرًا ، ولامست قدمه بداية درج قصير ، فأخذ يلهث فى انفعال ، ويتحسَّس طريقه فى عصبية ولهفة ، كمن وجد أخيرًا ملجأً أو ملاذًا ..

وفى بطء وإصرار ، صعد الرجل فى الدرجات القليلة ، ثم تحسَّس الحائط المنتصب أمامه فى لهفة ، حتى لمست أنامله قرصًا مستديرًا ، ضغط عليه ضغطة خفيفة ، فتناهى إلى مسامعه صوت رنين موسيقى ، أنعش حواسه ، فأعاد الضغط على القرص المستدير مرة ثانية وثالثة ورابعة ، وكأنما يسعده سماع صوت الرنين .

وأخيرًا فتحت سيدة فى أواخر الثلاثينات باب الڤيلا ، ونظرت فى رعب إلى ملامح الرجل .. لم تكن مجرد دهشة أو خوف .. بل رعبًا كاملا ، فقد جحظت عيناها ، وتدلَّت فكّها السفلى بشكل عجيب ، وارتعد لسانها بين أسنانها ، وارتجف جسدها كله ، حينما قال الرجل فى ضراعة وهو يمدُّ يده نحوها :

ـ النجدَة !! أنقذونى !! أنقذنى يا سيِّدى أو يا سيِّدتى .

تركَّز بصر السيِّدة ورعبها فى عينى الرجل .. لم تكن عينين بالمعنى المعروف ، أو بالشكل المألوف لدى كل البشر والحيوانات والطيور ، بل كانت مجرد كرتين سوداوين فاحمتين .. لا يميِّز المرء قزحيَّتهما من قرنيتهما .. كرتين داكنتين مرعبتين ..

وتوقَّف لسان السيِّدة عن الارتعاد بين أسنانها ، واستقرَّ فى صرخة قوية .. صرخة يملؤها الرعب .. صرخة ارتجف لها جسدها ، وجسد الرجل أيضًا .

* * *

كان اللواء (سيد منصور) راقدًا فى فراشه ، يتساءل عن هذا السخيف الذى يدق بابه فى منتصف الليل ، وتصوَّر لحظة أنها حالة من حالات الطوارئ ، ثم عاد يغمغم بكلمات ساخطة غير مفهومة ، وأقسم أن يعاقب صاحب هذا الرنين لو أنه أحد جنوده ، أو حتى أحد ضباطه ، ثم تنبَّه إلى أن زوجته قد استغرقت وقتًا طويلًا لمعرفة الطارق ،

فرفع رأسه عن الوسادة ، وظهر القلق فى ملامحه ، وهمَّ بمناداتها ، وفتح فمه بالفعل ، ولكنه لم يغلقه ، فقد ارتفع صوت صرخة زوجته التى يملؤها الرعب ..

قفز اللواء (سيد) من فراشه ، وعبَر ردهة الڤيلا فى خطوتين واسعتين ، ثم أحاط كتف زوجته بذراعيه صائحًا :

ـ ماذا حدث ؟.. ماذا هناك ؟

ويبدو أن هذا التوتُّر كان أكثر مما يمكن أن يحتمله الرجل الأول ، فقد ندَّت من بين شفتيه آهة ألم ، وسقط متكوِّمًا فوق سُلَّم الڤيلا ..

أسرع اللواء إليه ، وفحصه فى سرعة ، ثم قال بلهجة تحمل الكثير من الشفقة :

ـ يا إلهى !! إن هذا الرجل يتضوَّر جوعًا .. إنه يعانى ضعفًا بالغًا .

ثم تراجع برأسه فجأة فى ذعر ، حينما فتح الرجل عينيه السوداوين اللتين برقتا بوميض مخيف ، حينما انعكس فوقهما ضوء المصباح الخافت ، الذى يضىء مدخل الڤيلا .. ولم

يلبث ذعر اللواء أن تحوَّل إلى فضول شديد ، وهو ينحنى ليحدِّق فى عينى الرجل ، متسائلًا عما يعنيه لحظهما الذابل ، وحركتهما المتوقفة ، ولونهما الفاحم .

وفجأة تكلم الرجل .. خرجت كلماته فجأة بشكل جعل جسدى اللواء وزوجته ينتفضان .. كان الرجل يقول كلمات خافتة غير مفهومة ، حتى أن اللواء اضطر للانحناء ، مقربًا أذنيه من الرجل .. وسمعه يقول فى ضعف :

ـ الضوء الأسود .. الخطر .. أربعة وثلاثون .. سبع وعشرون ونصف .. الماء ..

ثم رفع ذراعه فى ضعف شديد ، وأشار إلى السماء ، وفتح فمه ، وكأنه يهمّ بالكلام ، ولكنه شهق فجأة شهقة قوية ، وظهر الذعر على ملامحه ، ثم استرخى جسده بين ذراعى اللواء ، الذى انحنى يلصق أذنه بصدره ، محاولًا سماع دقَّات قلبه ، ولم يلبث أن رفع رأسه قائلًا فى دهشة :

ـ ربَّاه !! لقد .. لقد مات الرجل .. وكأنه كان ينتظر إبلاغنا هذه الرسالة .

ثم رفع ذراعه فى ضعف شديد ، وأشار إلى السماء ، وفتح فمه ، وكأنه يهمّ بالكلام ..

غمغمت زوجته وهى تحدّق فى جثة الرجل برعب :

ــ أيَّة رسالة ؟.. إننى لم أفهم شيئًا !!

قال اللواء وكأنما يحدّث نفسه :

ــ لا ريب أنها رسالة ما .. إنها كلمات غير مرتبة .. ولكن لابدَّ أنها تحمل معانى سريَّة .

ثم قطَّب حاجبيه ، وتمتم فى تساؤل :

ــ الضوء الأسود ؟! .. ماذا يعنى بحقِّ السماء ؟

قطعت زوجته أفكاره ، وهى تسأله مرتجفة :

ــ ماذا سنفعل به ؟

نظر إليها وكأنما أدهشه سؤالها ، ثم عاد ينظر إلى الجثة ، وهزَّ رأسه وهو يقول فى لهجة ثابتة :

ــ ماذا نفعل به ؟! .. سنبلِّغ الجهة الوحيدة التى يهمها مثل هذا اللُّغز العلمى بالطبع .. سنبلِّغ المخابرات العلمية .

* * *

٢ ـ المهمة ..

أوقف الرائد (نور الدين محمود) سيارته الصاروخية ، أمام إدارة الطب الشرعى التابعة لوزارة العدل ، وغادرها فى هدوء ، ثم انطلق بجسده الرياضى الرشيق يصعد فى درجات السُّلَّم المحدودة ، حتى توقَّف أمام مكتب الاستعلامات التابع للإدارة ، فأخرج بطاقته ، وناولها لرجل يقف أمام جهاز كمبيوتر مثبت بالحائط ، فدسَّها الرجل داخل فراغ مستطيل إلى جوار الكمبيوتر ، ثم ضغط زرًّا أحمر اللون ، أضاء بعده مصباح أخضر فى أعلى الفراغ ، ثم انطفأ فسحب الرجل البطاقة ، وعاد يناولها لـ (نور) ، الذى دسَّها فى جيب سترته الجلدية وهو يسأل الرجل :

ـ أين أجد قاعة الفحص الخاصَّة بالدكتور (حجازى) ؟

اعتدل الرجل فى احترام لمجرد ذكر اسم الدكتور (محمد حجازى) ، وقال فى لهجة توحى بالاهتمام والرصانة :

ـ إنه يعمل فى القاعة رقم (واحد) الآن يا سيِّدى .

شكره (نور) بتمتمة خافتة ، ثم تحرَّك فى خطوات واسعة ، يعبر الممر الطويل ، ذا الأرضية المصقولة اللامعة ، حتى توقَّف أمام القاعة التى تحمل الرقم (واحد) ، فدقَّ بابها فى هدوء ، وسمع صوت الدكتور (حجازى) المائل إلى السخرية يقول :

ـ ادخل يا من بالباب .. لو أن عملنا يروق لك .

دفع (نور) الباب ، ودخل إلى قاعة الفحص .. كان الدكتور (حجازى) منهمكًا فى فحص جثة الرجل ذى العينين الداكنتين ، ولكنه قال دون أن يرفع عينيه عن الجثة :

ـ مرحبًا يا (نور) .. هل أسند إليك القائد الأعلى هذه المهمة ؟

ابتسم (نور) ، وقال وهو ينظر إلى جثة الرجل :

ـ كيف عرفت أنه أنا يا سيِّدى ؟

صاح الدكتور (حجازى) فى مرح :

— هل تظن أنك أنت الوحيد الذى تمتلك موهبة الاستنتاج أيها الرائد ؟.. لقد تنبَّهت إلى خطواتك الواثقة الواسعة المألوفة .. لقد كانت تشير إلى أنك معتاد على دخول قاعات الفحص .، وهذا طبيعى بالنسبة لخريج كلية الشرطة مثلك ، ثم إنه من النادر أن يجرؤ شخص ما على اقتحام حجرة الفحص ، فى أثناء قيامى بعملى ، إلَّا إذا كان شخصًا لابدَّ له من الاطلاع على لُغز علمى مثل هذا .

ثم رفع رأسه نحو (نور) ، وابتسم فى مكرٍ وهو يستطرد :

— بالإضافة إلى أن القائد الأعلى قد اتصل بى منذ دقائق ، وأخبرنى أنك فى طريقك إلى هنا ، بعد أن أسند إليك هذه المهمة .

ضحك (نور) وهو يقول :

— يا لها من طريقة عجيبة للاستنتاج يا سيِّدى !!

ثم تحوَّلت ملامحه فجأة إلى الجدِّيَّة وهو يردف :

— ما نتائج الفحص يا سيِّدى ؟

اكتست ملامح الدكتور (حجازى) بعلامات الجدِّيَّة هو الآخر ، وقال :

— ليس الآن يا (نور) .. إننى لم أُتِمّ فحصى بعد .

قال (نور) فى لهفة :

— كل ما أحتاج إليه فى الوقت الحالى هو نتائج فحص العينين ، فالقائد الأعلى يقول إنهما ....

قاطعه الدكتور (حجازى) قائلًا فى صرامة وحدَّة :

— ليس بعد يا (نور) .

لاذ (نور) بالصمت ، على حين استطرد الدكتور (حجازى) ، فى محاولة لتفسير حِدَّته :

— إن الأمر لا يقتصر على مجرد الفحص الظاهرىّ ، فهذا يمكن أن يقوم به أىّ طبيب حديث التخرُّج .. إننا نجرى الصفة التشريحية ، ثم نفحص الدم والمحتويات بالوسائل الكيميائية ، وباختبارات السموم المختلفة ، وبعد ذلك يأتى دور فحص الخلايا بالميكروسكوب العادىّ والإليكترونى والأيونى .. إنها عملية شاقَّة للغاية .

وتنهَّد وهو يتابع عمله قائلًا :

ــ وعلى العموم يمكنك أن تنتظرنى فى غرفة مكتبى ، وسأخبرك بالتقرير الكامل بعد ساعتين من الآن .

أومأ (نور) برأسه متفهِّمًا ، وقال :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. ولكننى أفضل الذهاب لمناقشة رفاق فى الأمر ، حتى تمضى الساعتان،فهناك أكثر من لُغز داخل هذا الحادث .

* * *

استمع أفراد الفريق إلى (نور) فى صمت ، حتى انتهى من سرد وقائع الحادث ، ثم قال (محمود) وهو يهزّ رأسه فى دهشة :

ــ عجيبة تلك العبارة التى قالها الرجل قبيل وفاته !.. ماذا كان يعنى بها يا تُرَى ؟

قالت (سلوى) :

ــ أكثر ما يثير دهشتى فى هذا الأمر ، هو إشارته إلى الضوء الأسْوَد .. فبحسب معلوماتى العادية فى علم الأشعة لا يوجد ما يسمَّى بالضوء الأسود .

نظر (نور) إلى (محمود) ، وسأله :

ــ هل هذا صحيح يا (محمود) ؟

هزَّ (محمود) كتفيه ، وقال :

ــ هذا أمر بديهى أيها القائد ، وهذا يرجع إلى طبيعة الضوء نفسه .

ثم اعتدل ، واستطرد كمن يلقى درسًا علميًا على مجموعة من التلاميذ :

ــ إن ذلك الضوء الذى نراه ينقسم إلى سبعة ألوان ، نطلق عليها اسم ألوان الطيف ، وهى الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلىّ والبنفسجىّ ، وهى ما نسمِّيها بالأضواء المرئية بالعين المجردة ، ويضاف إليها الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء .. ورؤيتنا لجسم ما تعنى أنه إما أن يمتص الضوء أو يعكسه ، ولون الجسم يعتمد على ما يمتصه أو يعكسه من هذه الألوان المرئية السبعة .. لو أننا رأينا جسمًا أحمر اللون ، فهذا يعنى أنه يمتص جميع الألوان عدا الأحمر ، فهو يعكسه إلى عيوننا

فنراه بهذا اللون ، والأمر يتشابه فى حالة الأجسام الشفَّافة ، فالزجاج الأزرق مثلًا يمتص جميع الألوان وينفذ الأزرق .. وهكذا .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ وماذا عن الأجسام السوداء ؟

قال (محمود) :

ـ الأجسام السوداء هى أجسام امتصت جميع الألوان ، ولم تعكس أو تنفذ أيًا منها .. بعكس الاجسام البيضاء ، فهى لا تمتص أيًا منها مطلقًا بل تعكسها جميعها ، أو تنفذها جميعها ؛ لأن اختلاط الألوان جميعها ينتج اللون الأبيض .

زوَى (نور) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـ هذا يعنى أنه من المستحيل تواجد ما يسمى بالضوء الأسود ؛ لأنه من المستحيل أن يسقط على عيوننا ضوء غير معكوس ، أو نافذ .

ثم هزَّ رأسه ، وقال :

ـ صدّقنى يا عزيزى (محمود) إنه أمر مريك للغاية .

قال (محمود) مبتسمًا :

ـ ليس من الضرورى أن تقلق نفسك ، فى محاولة فهم استحالة وجود ضوء أسود أيها القائد .. يمكنك الاكتفاء بشهادة خبير فى الأشعة مثلى .

قال (رمزى) :

ـ ربما تعنى عبارة الضوء الأسود شيئًا رمزيًا أيها القائد .. شعارًا .. أو إشارة إلى منظمة سريّة أو ما شابه ذلك .

أشار إليه (نور) بسبَّابته قائلًا :

ـ هل تعلم يا (رمزى) .. أن هذا هو التفسير المنطقى الوحيد ؟

ابتسمت (سلوى) ، وقالت وهى تتلفت حولها :

ـ يخيَّل إلىَّ فى بعض الأحيان ، أن روح هذا الرجل تطوف بنا الآن ، وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة ماكرة ، فلقد مات وترك لنا عبارة تحوى أكثر من لُغز .

تقبَّل (نور) عبارتها فى جدّيَّة ، وهو يقول :

ــ أنتِ على حقٍّ يا (سلوى) ، فكل ما قاله أو فعله هذا الرجل مثار للتساؤل .. بل إن مجرد ظهوره داخل قاعدة (بدر) العسكرية ، أدَّى إلى ارتباك شديد ، والتحقيقات تجرى الآن مع المسئولين عن الحراسة ، لمعرفة كيفية وصوله إلى منزل اللواء (سيد منصور) .

غمغم (رمزى) ، وهو يزوى ما بين حاجبيه فى تفكير :

ــ صدقت يا (نور) ، إننا لم نواجه من قبل لغزًا يحيط به الغموض من كل جانب كهذا .

رفع (نور) يده ينظر فى ساعته الذرِّيَّة ، ثم قال :

ــ أعتقد أننا سنحل بعض هذا الغموض قريبًا يا رفاق ، فقد حان موعدى للاطلاع على التقرير الطبى الخاص بفحص الجثة ، والذى وضعه الدكتور (حجازى) .

* * *

حكَّ الدكتور (محمد حجازى) ذقنه ، وهو يستجمع

أفكاره ، ثم نظر إلى (نور) فترة فى تردُّد ، وأخيرًا حسم أمره وقال :

ــ إذا كنت تظن أن التقرير الخاص بالفحص ، سيفسِّر بعض الغموض الذى يحيط بالموقف ، يؤسفنى أن أنزع من رأسك هذا الأمل يا (نور) ، إذ أن الفحص قد زادنى أنا حيْرة .

شعر (نور) بالضيق ، ولكنه كتم مشاعره ، وسأله :

ــ أخبرنى فقط بما توصَّلت إليه يا سيِّدى ، وسأحاول أنا استخلاص ما يفيدنى منه .

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال وهو يعتدل فى مقعده :

ــ بدءًا بالمعتاد نقول : إن الجثة لذكر فى حدود الثلاثين من عمره ، مجعَّد الشعر ، أسوده ، يزن ....

قاطعه (نور) قائلًا :

ــ لست أطلب تقريرًا رسميًّا يا سيِّدى .. مجرد علامات إيجابية تضىء لى الطريق

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه متفهمًا ، وقال فى شرود :

ـــ لست أدرى إذا ما كانت النتائج التى سأخبرك بها إيجابية أم سلبية يا (نور) .

ورفع رأسه وهو يستطرد :

ـــ حسنًا .. إن هذا الرجل عانى طويلًا كثيرًا من الانفعالات والجوع والعطش .. فكل الدهون المختزنة تحت جلده استهلكت ، ووظائف كليتيه كادت تصاب بالخلل ، وفى نفس الوقت توجد كمية كبيرة من مادة الأدرينالين الطبيعية تختلط بدمه ، مما يؤكد وقوعه تحت تأثير انفعالات قويَّة فترة طويلة من الزمن .. أجهزة جسمه طبيعية تقريبًا ، عدا كليتيه وكبده من أثر الهزال ثم .. عينيه .

تنبَّهت حواس (نور) كلها ، وهو يستمع إلى هذا الجزء من التقرير ، على حين تابع الدكتور (حجازى) :

ـــ لقد تعرَّض هذا المسكين لتجربة شيطانية عجيبة ، أو لنوع من التعذيب الجنونى البشع ، فقد أحرق بعضهم

الطبقة الصلبة البيضاء ، التى تلف العين وتبطن الجفنين ، والسطح الخارجى لقرنيَّة العين الشفافة ، بحيث تحوَّلت كرة العين بأكملها إلى كرة سوداء لامعة ، وتحوَّل المسكين إلى رجل عاجز أعمى .

توتَّرت عضلات وجه (نور) كعادته ، كلمَّا استمع إلى عمل من أعمال القسوة ، أو كلما رأى تدميرًا أو قتلًا ، وظهر الاشمئزاز على وجهه وهو يغمغم فى خفوت :

ـــ يا للبشاعة !!

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه فى أسف ، وقال :

ـــ لقد تعرَّض هذا المسكين إلى عذاب رهيب ، على يد رجال لا يعرفون الرحمة .. لقد دمَّروه تدميرًا .

نهض (نور) فى بطء ، وقال :

ـــ ولكنهم لن يهربوا بفعلهم هذا يا سيِّدى .. أقسم لك .

* * *

شعرت (سلوى) برغبة عارمة فى القيء ، حينما قصَّ عليهم (نور) ما سمعه من الدكتور (حجازى) ، وأدار (محمود) رأسه كأنَّه يخفى الاشمئزاز الذى ارتسم على ملامحه ، وتمتم (رمزى) :

— يا للهول !! إن الأوغاد الذين فعلوا ذلك مصابون بالسادية بلا شك .. لقد عذبوا الرجل بأبشع مما يحدث فى حروب البربر .

قال (نور) فى حزم :

— لن نسمح لهم بالإفلات من ذلك يا (رمزى) .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

— ولكن كيف ؟.. إننا لا نعلم حتى من هم ؟ ولا أين هم ؟

زوَى (نور) ما بين حاجبيه ، وقال :

— الطريق الوحيد إليهم ، هو حلّ لُغز الكلمات الغامضة ، التى نطق بها هذا المسكين قبيل وفاته .

صمت الجميع لحظة ، ثم قال (محمود) :

من العجيب أننى لا أجد أى رابط بين هذه الكلمات بعضها وبعض .

رفع (نور) رأسه إليه ، وقال :

— أنت محقّ يا (محمود) .. ما رأيك لو فصلنا كلًّا منها عن الآخر ؟

سألت (سلوى) فى فضول :

— كيف يا (نور) ؟

وضع (نور) سبَّابته اليمنى فوق خنصر يسراه ، وهو يقول :

— فلنعتبرها عدة ألغاز متفرّقة .. أولًا : الضوء الأسود .. ثانيًا : الرقمان الغامضان .. ثالثًا : البحر .. رابعًا : إشارته إلى السماء .. خامسًا : ظهوره المفاجئ غير المفهوم داخل قاعدة (بدر) العسكرية .

قال (رمزى) :

— لو أننا اعتبرنا كلمة (الضوء الأسود) هى إشارة أو رمز لمنظمة سريَّة خاصة ، فقد يعنى هذا أن الرقمين هما

عضوان داخل هذه المنظمة ، أو شفرة لمفتاح لُغز أو كلمة سرّ أو .....

قاطعه (نور) صائحًا :

— أو إحداثيات جغرافية .

توقَّف الجميع فجأة ، وتهلَّلت أساريرهم ، على حين صاحت (سلوى) فى جذل :

— أنت عبقرى يا زوجى العزيز .. هذا هو التفسير المنطقى ولا شك .

أسرع (محمود) إلى الكمبيوتر ، ووضع الرقمين ، مردفًا إيَّاهما بالكود الجغرافى للكمبيوتر ، وهو يقول :

— تُرى أية نقطة فى العالم تقع تحت إحداثى أربعة وثلاثين ، وسبعة وعشرين ونصف ؟

أضاءت شاشة الكمبيوتر باللون الزيتونى ، وتراصَّت فوقها خطوط رأسية وأفقية ، صانعة خريطة لجزء من العالم ، ثم تحرَّك خطان أحمرا اللون ، أحدهما رأسى والآخر أفقى حتى التقيا فى نقطة ما ، وارتسمت حول نقطة التقائهما دائرة زرقاء واضحة ، فصاح (محمود) فى دهشة :

— عجبًا !! إنها نقطة غامضة فى المحيط الجنوبى ، جنوب مدينة (إيست لندن) فى جنوب إفريقية .

قفز (رمزى) من مقعده صائحًا :

— إنها صحيحة .. هذا هو تفسير إشارته إلى البحر .. لقد حلَّلنا جزأين من أجزاء اللُّغز يا رفاق .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال وهو يهزّ سبَّابته أمام وجهه :

— خطأ يا (رمزى) .. خطأ .

استدار إليه الجميع ، فابتسم وقال فى هدوء :

— لقد فحصنا الأمر معكوسًا يا رفاق .. لقد أخطأنا ، ولكننا سنصل إلى الحلّ ، فقد توصَّلت إلى نصف اللُّغز .

* * *

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال وهو يهزّ سبابته أمام وجهه :
ـ خطـأ يا (رمزى) .. خطـأ ..

٣ ـ الرحلة ..

ـ ولكننا لم نرَ الحل فى عينيك يا (نور) ؟

نطقت (سلوى) بهذه العبارة فى دهشة ، وهى تتطلَّع مع رفاقها إلى وجه (نور) ، الذى ابتسم وقال :

ـ لست أدرى شيئًا عن هذا البريق الذى تخبريننى عنه دائمًا يا (سلوى) ، ولكننى فى الواقع توصَّلت إلى حلِّ نصف اللُّغز فقط .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ ما الذى توصَّلت إليه يا (نور) ؟

قال (نور) مبتسمًا :

ـ توصَّلت إلى أن البحر يختلف عن المحيط يا (رمزى) .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، ولكنه أشار إلى (محمود) ، وقال :

ـ ما رأيك لو أننا عكسنا الرقمين يا عزيزى (محمود) ؟ ..

أعنى لو أننا جعلنا الأول هو خط الطول والثانى هو خط العرض ، بعكس ما فعلت أنت .

أسرع (محمود) إلى الكمبيوتر ، فأعطاه الإحداثيات الجديدة ، وفى الحال ارتسمت على شاشته صورة لمصر والبحر الأحمر ، فصاحت (سلوى) :

ـ هذا صحيح يا (نور) .. أنت عبقرى .

أشار إليها نور أن تصمت ، وهو يتابع الخطين الحمراوين ، اللذين أسرعا فى الاتجاهين الأفقى والرأسى ، حتى التقيا فى نقطة ما ، فصاح (محمود) :

ـ يا إلٰهى !! إنها جزيرة (شدوان) السياحية .

وضع (نور) سبَّابته فوق الدائرة الزرقاء التى ارتسمت حول الجزيرة ، وقال فى هدوء :

ـ نعم إنها جزيرة (شدوان) فى البحر الأحمر يا رفاق .. هذا هو حلُّ الجزأين الثانى والثالث من اللُّغز .

ورفع رأسه إليهم ، وهو يستطرد فى هدوء :

ـ وهذه هى وجهتنا يا رفاق .

* * *

انتشرت شهرة جزيرة (شدوان) المصرية ، منذ عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين ، بكونها أجمل مزار سياحى فى البحر الأحمر ، بعد أن تمَّ تمهيدها ومدّ شواطئها الصخرية ، وإقامة عدد من الشاليهات ونوادى الصيد والغوص فى أجزاء متفرِّقة منها ، بالإضافة إلى الفندق الضخم الفاخر ، الذى يرتفع ثلاثة وثلاثين طابقًا فى منتصفها تمامًا ..

وأمام هذا الفندق بالضبط ، هبطت الهليوكوبتر التى حملت (نور) وفريقه ، وغادروها و (سلوى) تقول :

ـ يا للرَّوعة !! هذا أجمل مكان وقعت عليه عيناى .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ لقد اتفق العالم أجمع على ذلك يا عزيزتى .

لم تمض دقائق حتى كان كل منهم قد استقر فى غرفته ، وعادوا للاجتماع معًا فى غرفة (نور) و (سلوى) ، حيث قال (رمزى) :

ـ ها قد وصلنا إلى النقطة التى يفترض كونها بداية حلّ

اللُّغز أيها القائد .. ماذا علينا أن نفعل الآن ؟

قال (نور) مبتسمًا :

ـ سنبدأ تحرِّياتنا يا عزيزى (رمزى) ، بنفس الطريقة المتبعة منذ عشرات السنين .. سنسأل الجميع عن معنى الضوء الأسود هذا .

سأله (محمود) :

ـ وهل تعتقد أننا سنجد هنا من يخبرنا عن معنى كلمة الضوء الأسود ؟

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ لا .. ولكننا سنجد من يثير جنونه ذكرنا لكلمة الضوء الأسود يا صديقى .

* * *

اتجه (رمزى) بحسب الخطَّة التى وضعها (نور) ، إلى نادى الصيد فى جزيرة (شدوان) ، وهو يرتدى زيًّا صيفيًّا خفيفًا ، ولم يجد صعوبة فى الاندماج بروَّاد النادى ، الذين اعتادوا التعامل مع الزوَّار والسياح الغرباء ، ولم

يلبث أن أخذ يجُول فى حرية ، دون أن يلحظ أحد حركته .. فتوقف وأخذ يرتب الأمر داخل خلايا مخه فى هدوء ..

إن (شدوان) جزيرة سياحية هادئة محدودة ، وزائرها لا يقضى أكثر من يومين أو ثلاثة على الأكثر ، ومن الطبيعى أن يكون معظم روَّاد النادى من القادمين الجُدد .. الجهة التى ينبغى سؤالها إذن هى إدارة النادى .. إنهم الوحيدون الذين يبقون هنا دائمًا ..

وكأنما حسم أمره ، فقد توجَّه فى الحال إلى مبنى الإدارة ، وتردَّد لحظة بين غرفتين ، تخص إحداهما مدير النادى ، والثانية رئيس العلاقات العامة به ، ولم يلبث أن توجَّه إلى الثانى ، عن اقتناع أنه الأقدر على ملاحظة وشرح الأمور .

استقبله رئيس العلاقات العامة بابتسامة جذَّابة ، وترْحاب شديد .. كان شابًّا فى الثلاثين من عمره تقريبًا ، طويل القامة ، نحيل القوام له وجه مستطيل ، تراصَّت فوقه ملامحه فى انتظام ، وينتهى بذقن مدبَّبة ، وفوق عينيه منظار

طبّى أنيق ، وعرف (رمزى) من البطاقة المثبتة بالمكتب ، أنه يدعى (نادر جمال) ..

ابتسم (نادر) ابتسامة واسعة ، وهو يسأل (رمزى) فى اهتمام شديد :

ـــ أيّة خدمة يمكننى تقديمها لك يا سيّدى ؟

أجابه (رمزى) فى هدوء :

ـــ اسمى (رمزى) ، والخدمة التى أطلبها تقتصر على إجابة سؤال واحد .

ظلّت ابتسامة (نادر) على حالها ، وهو يسأل فى تفهُّم يشير إلى اعتياده إجابة أسئلة الروّاد :

ـــ لن أتردّد لحظة ، لو أنه بإمكانى إجابتك يا سيّد (رمزى) .

توقّف (رمزى) لحظة وهو ينظر فى عينى (نادر) مباشرة ، ثم قال فى بطء وهدوء ، وهو يضغط على أحرف كلماته ، ليضمن وصولها واضحة إلى أذن (نادر) :

ـــ أريد أن أعرف ما هو الضوء الأسود ؟

شحُب وجه (نادر) ، إلى درجة لا يمكن أن يخطئها خبير فى الطبّ النفسى مثل (رمزى) ، وارتعدت شفته السفلى ، وظهر فى عينيه مزيج من الدهشة والخوف والقلق ، وهو يحدّق فى عينى (رمزى) ..

كان من الواضح أن هذا هو آخر سؤال توقّعه (نادر) فى تلك اللحظة ، ولكن كل هذه التغيُّرات لم تدم سوى ثانية واحدة ، عادت بعدها الابتسامة ترتسم على شفتيه ، وإن بدت شاحبة وهو يقول :

ـــ ماذا تعنى يا سيّد (عزمى) ؟ .. هل يوجد ضوء أسود ؟

نهض (رمزى) من مكانه ، وانحنى يستند براحته إلى مكتب (نادر) ، دون أن يبعد نظره عن عينيه لحظة واحدة ، وقال فى عمق وهدوء :

ـــ اسمع يا سيّد (نادر) .. لقد أخبرتك باسمى ، ولكننى لم أخبرك بوظيفتى بعد .. أنا طبيب بشرى متخصّص فى الطبّ النفسى .. هل تعلم ماذا يعنى

التخصُّص فى القرن الحادى والعشرين ؟.. يعنى أننى قادر على قراءة كل خلجة من خلجاتك ، وكل تغيُّر ولو طفيف فى تعبيراتك وملامحك ، واستشفاف ما تخفيه ، كما لو أن جمجمتك مصنوعة من البِلَّوْر ، وأفكارك تسير داخلها واضحة أمام ناظرى ..

حدَّق (نادر) فى وجه (رمزى) فى رعب ، على حين استطرد هذا الأخير :

ـــ ولقد تغيَّرت ملامحك تغيُّرًا واضحًا ، حينما سألتك عما تعرفه عن الضوء الأسود يا صديقى ، إذا أردت استشارتى فأنا أقول إن ملامحك عبَّرت عن الدهشة لسؤالى ، والخوف من معرفتى لهذا الشىء المسمَّى بالضوء الأسود ، والقلق ممَّا يَدعونى إلى هذا السؤال .

ثم أشار إليه بسبَّابته ، وقال :

ـــ خذ رأى خبير نفسى يا صديقى ، واطمئن ، فلن أطلب منك أتعابًا على تشخيص هذا .. إنك تعرف جيِّدًا ما هو الضوء الأسود ، ولكن هذا الشىء الغامض يثير فى

داخلك من الخوف أضعاف ما يفعله الموت نفسه ، إلى درجة أنك ترفض إقحام نفسك فى أى شىء يخصه .

تمتم (نادر) فى تخاذل :

ـــ لا يعنينى أنك طبيب نفسىّ من عدمه يا سيِّد (عزمى) ، فأنا لا أعلم شيئًا عن ضوئك الأسود هذا .

ابتسم (رمزى) فى هدوء ، وقال :

ـــ هكذا ؟! إنك حتى قد نسيت اسمى يا سيِّد (نادر) ، فأنا أدعى (رمزى) لا (عزمى) .

ثم استدار وهو يقول :

ـــ فكِّر جيِّدًا يا صديقى ، وأنا أقيم فى الفندق .. فى الغرفة رقم مائتين وسبعة .. سأنتظر رؤية وجهك على شاشة التليفيديو .

لم ينبس (نادر) ببنت شفة حتى اختفى (رمزى) ، فرفع سماعة التليفيديو ، وقال وهو يضغط رقمًا مُعيَّنًا :

ـــ يا إلهى !! ها هو ذا صوت جديد ، لابدَّ لنا من إخماده .

* * *

قفز (رمزى) درجات السُّلَّم الأخيرة فى حيوية ، وتوقَّف لحظة حينما وصل إلى الطابق الذى يقيم فيه .. كان سعيدًا بسبب توصُّله إلى الخيط الأول فى حلِّ اللُّغز ، حتى أنه أوقف المصعد قبل طابقه بطابقين كاملين ارتقى إليهما قفزًا لشدة فرحه ، ولم يكد يصل إلى طابقه حتى أسرع فى خطوات واسعة إلى حجرته وهو يفكِّر :

— هل هذا الرجل (نادر جمال) ، هو مفتاح لُغز الضوء الأسود بأكمله ؟ .. ويا لها من ضربة حظ !! أول رجل يسأله يكون هو الرجل المنشود .. ولكن هل يعلم حقًّا كل شىء ؟

فتح باب حجرته ، ودلف إلى داخلها وهو مسترسل فى تفكيره ، ثم قال فى هدوء موجِّهًا أمرًا إلى جهاز الكمبيوتر ، الذى يتصل بكل الحجرات :

— أشعل الضوء .

ولكن الحجرة ظلت على ظلامها ، فرفع رأسه ينظر إلى حيث مصباح الإضاءة فى دهشة ، وتمتم فى ضيق :

— يا له من حظ سيِّئ !! لقد أصيب الكمبيوتر الخاص بى بالعطب .

وانتفض جسده فجأة فى رعب ، حينما جاءه صوت هادئ عميق ، تشوبه لكنة غامضة عجيبة يقول :

— إنه لم يصب بالعطب ، ولكننا وضعنا بدلًا من المصباح العادى آخر يشع ضوءًا أسود .

التفت (رمزى) فى ذعر إلى مصدر الصوت ، وهاله أنه يرى شبحًا يتحرَّك وسط الظلام .. لم تكن له حدود معروفة ، ولكنه كان شبحًا إلى الحدِّ الذى دفع (رمزى) إلى التراجع ، ودفع عينيه إلى أن تتسع فى رعب ، وقد عجز لسانه عن نطق حرف واحد .

* * *

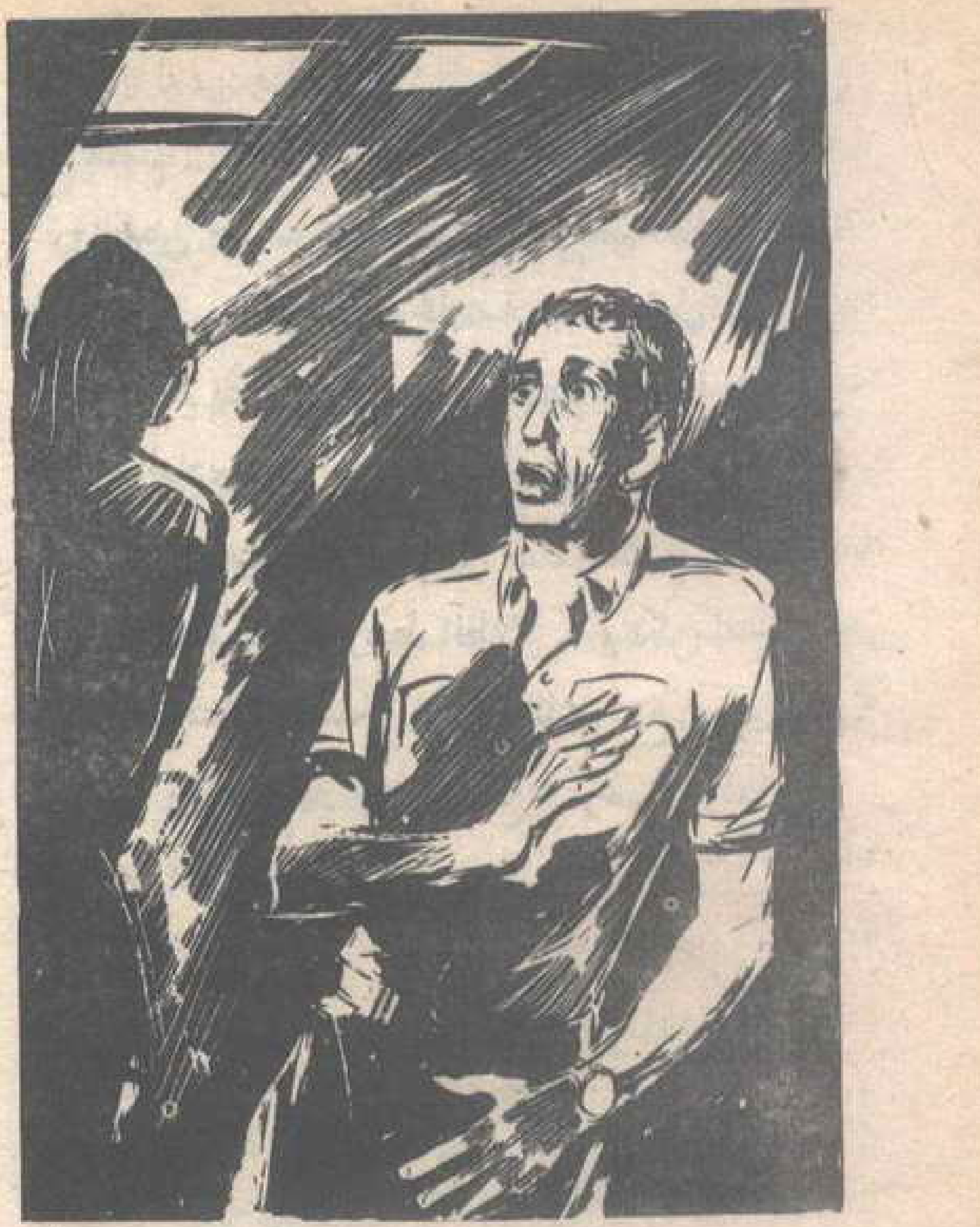

لم يكن له حدود معروفة ، ولكن كان شبحا إلى الحد الذى دفع (رمزى) إلى التراجع ، ودفع عينيه إلى أن تتسع فى رعب ..

٤ ــ اختطاف ..

تطلَّع المشرف العام على نادى الغطس ، فى الصورة الملوَّنة التى وضعها (نور) أمامه ، ثم أومأ برأسه فى هدوء ، ورفع عينيه قائلًا :

ــ نعم .. إننى أعرف هذا الرجل .

كتمت (سلوى) صرخة انتصار ، كادت تفلت من بين شفتيها ، على حين قال (نور) فى هدوء وبساطة ، وكأنه كان يتوقَّع الجواب :

ــ ومتى رأيته آخر مرة يا سيِّدى ؟

أسند الرجل رأسه إلى جبهته طويلًا ، ثم قال :

ــ منذ أسبوع بحسب ما أذكر .. لقد استأجر حُلَّة غوص من ذات المحركات النفَّاثة ، وبندقية صيد من النوع المزوَّد بالموجات الارتجاجية ، وحوَّامة صغيرة (هوفر كرافت) ، وتوجَّه إلى الجانب الجنوبى من الجزيرة ، ولقد حذَّرته يومئذ

من أنه لن يجد الصيد الوفير فى الجنوب ، فمن المعروف أنه منطقة شعاب مرجانية عجفاء ، يفرُّ منها هواة الصيد والغطس ، ولكنه ضحك يومها وقال : إنه يبحث عن صيد ثمين .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ ومتى أعاد الأشياء التى استأجرها ؟

قال الرجل :

ــ مساء اليوم نفسه .

سألته (سلوى) ، وقد ازداد شغفها وفضولها :

ــ وهل كان يبدو مضطربًا حينذاك ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، وقال :

ــ إنه لم يعدها بنفسه فى الواقع ..

زوَى (نور) ما بين حاجبيه ، وسأله فى اهتمام :

ــ من أعادها إذن ؟

أشار الرجل إشارة مبهمة ، وهو يقول :

ــ لقد أعادها السيِّد (نادر جمال) ، رئيس العلاقات العامة بنادى الصيد .

سأله (نور) فى حدَّة لم يتنبه لها :

ــ ألم يثر هذا الأمر شكوكك ؟

نظر إليه الرجل فى حذر ، وتردَّد لحظة قبل أن يسأله :

ــ ما عملك بالضبط أيها السيِّد ؟

قال (نور) فى خشونة :

ــ عملى لا يعنيك فى شىء .. كل ما أطلبه هو إجابة أسئلتى .

مدَّ الرجل يده نحو التليفيديو ، وهو يقول :

ــ لابدَّ لى من معرفة عملك ، وأسباب توجيهك هذه الأسئلة أيها السيِّد ، وإلَّا طلبت من رجال الشرطة أن يقوموا بذلك .

قال (نور) فى تحدٍّ :

ــ حسنًا .. اطلب رجال الشرطة ، ربما عاونونى على استجوابك .

ابتسم الرجل ابتسامة ماكرة ، وقال وهو يعيد يده إلى جانبه :

ـ هذا اعتراف غير مباشر ، بأنك تعمل فى سلك الشرطة أيها السيِّد .

شعر (نور) بالضيق للطريقة التى أوقعه بها الرجل ، ولكنه أخفى ضيقه وهو يسأله مرة ثانية :

ـ حسنًا .. ماذا كان شعورك ، حينما أعاد السيد (؛ادر) ما استأجره الرجل الآخر .

هزَّ الرجل كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـ لا شىء .. كثيرًا ما يستأجر أحد الزائرين ملابس غوص أو معدَّات صيد ، ثم يعيدها عن طريق ناد آخر ، أو عن طريق الفندق الذى يقيم به .. هذه أمور عاديَّة فى جزيرة سياحية .

أخذ (نور) يتأمَّله فترة ، ثم قال وهو يدفع أمامه ببعض الأوراق المالية :

ـ حسنًا .. سنستأجر حوَّامة مناسبة ، وبندقيتىْ صيد ، وثوبين من ثياب الغوص .

ثم مال نحو الرجل ، واستطرد فى غلظة :

ـ وستخبرنا بالضبط ، أين ذهب الرجل يوم أن استأجر أدواته .

* * *

أوقف (نور) محركات الحوَّامة (الهوفر كرافت) فى المنطقة المنعزلة ، التى حدَّدها له مشرف الغطس ، وأخذ يتأمَّلها فى اهتمام ..

كان هذا الجانب من الجزيرة عبارة عن مرتفع صخرى ، يعلو إلى ارتفاع أربعة أمتار تقريبًا ، وليس له شاطئ رملى ، بل صخور حادَّة خطيرة ، والماء يبدو من أسفلها شفَّافًا رائقًا ، يمتلئ بالشُّعب المرجانية متعدِّدة الألوان .. كانت باختصار منطقة يستحيل فيها الصيد ، ويصعب الغوص ، حتى أن (سلوى) قالت فى دهشة :

ـ ما الذى أتى به إلى هنا بحقِّ السماء ؟

قال (نور) ، وهو يرتدى ثياب الغوص :

ـ لقد كان يبحث عن شىء ما يا (سلوى) .. شىء مجهول خطر .. ولقد قاده بحثه إلى هذه البقعة ، ثم اختفى .

سألته (سلوى) :

ـــ وكيف علمت أن ما يبحث عنه مجهول وخطر ؟

قال فى هدوء :

ـــ لأنه لم يعد من هنا .. لقد قاده بحثه إلى نقطة اللاعودة .

كانت (سلوى) قد انتهت من ارتداء ثوب الغوص الخاص بها ، فقالت :

ـــ دعْك من تفسيراتك المعقَّدة هذه .. متى تنوى الغوص ؟

أجابها (نور) بقفزة ماهرة ، غاص بعدها جسمه داخل المياه الشفَّافة ، فتبعته هى فى ثقة ، وسرعان ما وجدا نفسيهما وسط غابة من الشّعاب المرجانية الملوَّنة ، ذات الجمال المبهر .. وسبح (نور) فى المقدمة وسط أفرع المرجان ، وتبعته (سلوى) مبهورة بكل هذا الجمال الذى يحيط بها ..

كانت عينا (نور) تبحثان فى اهتمام وتركيز ، عن أى شىء مثير للدهشة أو التساؤل .. مدخل كهف خفى ..

منطقة مُمَهَّدة بفعل البشر .. أى شىء غير طبيعى .. ودام بحثهما طيلة ساعتين حتى قارب الأكسوجين المضغوط فى خزَّانيهما على الانتهاء ، فأشار (نور) إلى (سلوى) بالصعود ، فما كان منها إلا أن تبعته فى هدوء ، حتى صعد إلى القارب ، ونزعت قناعها قائلة :

ـــ لا أعتقد أنه هناك ما يثير الشك ، أو حتى الانتباه .

أجابها (نور) فى حيْرة :

ـــ هذا ما يدهشنى .. لقد تصوَّرت أننا سنجد شيئًا ما ، ولكن ....

قطع عبارته فجأة ، صوت أزيز متصل من جهاز الإرسال الصغير فى الحوَّامة ، فأسرع (نور) يتناول مسماعه قائلًا :

ـــ هنا (نور الدين) .. من المتحدِّث ؟

جاءه صوت زميله (محمود) حائرًا خائفًا مرتبكًا ، وهو يقول :

ـــ لقد بحثت عنك طويلًا حتى وجدتك أيها القائد .. هناك أمر خطير أحبَّ أن أخبرك به .

ودام بحثهما طيلة ساعتين حتى قارب الأكسوجين المضغوط في خزانيهما على الانتهاء ، فأشار (نور) إلى (سلوى) بالصعود ..

سأله (نور) في قلق :

ــ ماذا حدث يا (محمود) ؟ .. هلمَّ .. تكلَّم .

قال (محمود) ، في صوت يملأ نبراته التوتُّر :

ــ لقد اختفى (رمزى) .. باب حجرته محترق تمامًا .. لقد اختطفه أحدهم .

* * *

وقف (نور) مبهوتًا يتطلَّع إلى حجرة (رمزى) الخالية ، التى أصابت يد التدمير كل ركن فيها ، ثم نقل بصره إلى باب الحجرة المصنوع من (البولى إيثيلين) ، والذى تحوَّل إلى لون أسود محترق ، بشكل مثير للدهشة ، وعاد يلتفت إلى مدير الفندق في غيظ ..

كان المدير (عيسى عوض) رجُلًا في أوائل الخمسينات ، قصير القامة ، غليظ الملامح والصوت ، بدينًا .. له كرش بارز ، وأطراف مكتظة .. حليق الوجه ، مجعد الشعر قصيرة ..

نظر إليه (نور) طويلًا ، قبل أن يقول :

ـــ أين كان رجال أمن فندقك ، فى أثناء خطف زميلنا أيها المدير ؟

ظهرت الحَيْرة فى ملامح الرجل ، وقلَّب كفَّيه وهو يقول فى انكسار :

ـــ لقد كان كل منهم فى مكانه يا سيِّد (نور) .. أقسم لك .. إنها أول مرة يحدث فيها مثل هذا الشىء فى فندق .. إنها فضيحة .

صاح (محمود) محتدًّا :

ـــ هل تظن أن زميلنا قد تبخَّر إذن ؟

صاح مدير الفندق :

ـــ أقسم لك أننى لا أعلم شيئا يا سيِّدى .. ويمكنكم سؤال جميع النزلاء فى الطابق ، وفى الفندق بأكمله .

أشارت (سلوى) إلى الباب المحترق ، وقالت :

ـــ وما معنى هذا الاحتراق ؟

قال (نور) فى برود :

ـــ هذا لا يعنى المدير يا (سلوى) .

عادت تقول ، وكأنها لم تسمعه :

ـــ ألم يشتم أحد النزلاء على الأقل رائحة الاحتراق ؟

نهرها (نور) فى حدَّة ، قائلًا :

ـــ قلت لك إن هذا لا يعنى أحدًا .

نظـرت إليــه (سلـوى) فى غضب ، ثم لاذت بالصمت ، على حين توجَّه (نور) إلى (عيسى) مدير الفندق ، وقال :

ـــ اطلبْ من جهاز أمنك عمل كل التحرِّيات اللازمة أيها المدير ، وأرجو أنْ تبلِّغنى التطوُّرات أوَّلًا فأوَّلًا .

فهـم المدير فى الحال ، أن (نور) يطـلب منــه الانصراف ، فقال وهو يغادر الحجرة :

ـــ بالطبع يا سيِّد (نور) .. سنجمع كل التحرِّيات الممكنة .. إنها فضيحة كبرى أن يحدث هذا فى فندق .

ولم يكد مدير الفندق ينصرف ، حتى قالت (سلوى) فى حدَّة :

ـــ كان من الضرورى أن نسأله عن هذا الاحتراق .

قال (نور) فى هدوء :

ــ كلَّا يا (سلوى) .. لقد فهمت الغرض من حرق الباب بهذا الشكل .

اختفت حدَّة (سلوى) فجأة ، وتطلَّعت إليه فى دهشة ، وكذلك فعل (محمود) ، ولكن (نور) لم يلحظ دهشتهما ، إذ ظل بصره معلَّقًا بالباب المحترق ، ومدَّ يده يتحسَّسه فى اهتمام ، وهو يستطرد فى هدوء :

ــ إنها مجرد رسالة .. تحذير لنا أن نكُفَّ عن البحث الذى نقوم به ، وإلَّا احترقت عينا (رمزى) كما حدث للرجل الآخر ..إنهم يمنحوننا عيِّنة مما يستطيعون فعله يا رفاق .

* * *

٥ ــ القتال ..

أخفت (سلوى) وجهها بكفَّيها ، وهى تبكى فى صمت ، ثم رفعت رأسها إلى (نور) و (محمود) اللذين جلسا صامتين ، وسألتهما فى صوت لم يفقد أثر بكائه بعد :

ــ ماذا سنفعل الآن يا رفاق ؟

هزَّ (محمود) كتفيه فى حَيْرة ، على حين قال (نور) :

ــ سنواصل بحثنا بالتأكيد يا (سلوى) .

نظرت إليه فى دهشة ، وصاحت غاضبة :

ــ هل ستضحِّى بـ (رمزى) يا (نور) ؟

قال (نور) فى ضجر :

ــ كلَّا يا (سلوى) .. سأحاول إيهام هؤلاء الأوغاد ، أننا قد تخلَّينا عن الأمر ، ولكننا فى الواقع سنواصل بحثنا عن حلِّ هذا اللُّغز .

سأله (محمود) :

— وكيف يكون ذلك أيها القائد ؟

تنهّد (نور) لحظة ، وقال :

— لقد تأكّدنا من الحل الصحيح لجزأين من أجزاء اللّغز يا (محمود) ، فلقد قادنا الرقمان إلى جزيرة (شدوان) فى البحر ، وأكّد حادث اختطاف (رمزى) أننا نسير على الطريق الصحيح .. بقى أن نعلم حلّ الأجزاء الثلاثة الأخرى ، وهذ لا يحتاج إلى العلانية .. يمكننا أن نفكّر ، وهذا ما لا يمكن كبحه فينا .

قالت (سلوى) فى ضيق :

— فيم تفكّر يا (نور) ؟

صمت (نور) لحظة ، وكأنه يستجمع أفكاره ، ثم قال :

— لا شك أن العبارة التى نطق بها الرجل قبل وفاته عبارة مترابطة ، برغم أن ظاهرها لا يشير إلى ذلك .. ولقد ربطت هذه العبارة بين إحداثيات جزيرة (شدوان) ، والبحر والضوء الأسود .. وما دمنا قد وصلنا إلى هنا ،

فنحن قريبون بلا شك من هذا الشىء المسمى بالضوء الأسود .

قالت (سلوى) فى ضجر :

— لم أفهم بعد .

أجابها (نور) :

— أعنى يا زوجتى العزيزة ، أننا أمام بعض المعطيات ، التى يمكن فحصها ودراستها دون أن نغادر حجرتنا ، ودون أن يشعر خصومنا أننا نواصل البحث .

اعتدلت (سلوى) ، وهى تقول فى لهجة تشفُّ عن اهتمامها :

— لقد بدأت أفهم الأمر .

استدار (نور) إلى (محمود) فى حماس ، وسأله :

— أيّة قوة يمكنها حرق باب مصنوع من (البولى إيثيلين) بهذا الشكل يا (محمود) ؟

قال (محمود) ، وقد انتقل إليه حماس (نور) :

— لقد فحصته جيّدًا وهو ليس محترقًا عن آخره ..

فقط الطبقة السطحية جدًا منه ، وهذا ما يوحى باحتراقه كله ، ويمكن إحداث هذا باستخدام أشعة مركَّزة تشبه أشعة اللّيزر ، ولكنها تحمل طاقة أعلى ، وتركيزًا أدق .

اتخذ (نور) و (سلوى) و (محمود) مجلسًا شبه دائرى فى اهتمام ، وقال (نور) :

ـــ إلى أى مدى ينبغى أن تختلف تلك الأشعة عن أشعة اللّيزر ؟

اعتدل (محمود) ، وقال :

ـــ إن أشعة اللّيزر هى عبارة عن كمية من الضوء ، يتم تركيزها بكل ما تحمله من طاقة فى شعاع ضوئى واحد ، يسير دائمًا فى خط مستقيم ، دون أن يتشتت وينتشر كالضوء العادى ، وهذا يشبه إلى حدٍّ ما اللُّعبة القديمة ، التى يستخدم فيها الأطفال عدسة محدَّبة ، لتجميع ضوء الشمس فى نقطة واحدة .. ولكن الليزر عبارة عن شعاع لا نهائى ، تحمل كل نقطة من نقاطه نفس قوة بؤرة العدسة .. تصوَّر أنت قوة مائة رجل اجتمعت فى قبضة رجل واحد ، هذا هو اللّيزر .

سألته (سلوى) :

ـــ وماذا عن الأشعة الأخرى التى أحرقت الباب ؟

قال (محمود) وهو يرفع سبَّابته ، مستعينًا بها فى شرح الأمر :

ـــ لو أننا أطلقنا أشعة اللّيزر على الباب ، لاخترقته فى الحال مدمرة خلاياه ، ولن يمكنها مطلقًا أن تحرق سطحه فقط ، إلَّا إذا استخدمنا أشعة الليزر الجراحية ، وهى لن تصل بمادة (البولى إيثيلين) إلى الاحتراق الكامل ؛ ولذا فنحن أمام إشعاع جديد يحمل نفس صفات اللّيزر ، باستثناء أن طاقته أقوى ، وتمتاز بالتركيز الدقيق .

سأله (نور) :

ـــ أى إشعاع يمكنه أن يفعل ذلك ؟

هزَّ (محمود) كتفيه ، وقال :

ـــ إنه إشعاع لم يُكْشَف بعد .. أقصد عمليًا بالطبع .. ولكن من الواضح أن هؤلاء المختطفين قد توصَّلوا إليه .. ربما يستخدمونه من ضوء الشمس ..

ثم هزَّ رأسه بقوة ، واستطرد :

ــ لا .. هذا مستحيل .. لو أنه من ضوء الشمس ، لكانت طاقته بالغة القوة .. ما هو يا تُرَى ؟

تنهَّدت (سلوى) ، وقالت وهى تشيح بذراعها :

ــ لن يمكننا ذلك ، لابدَّ لنا من الخروج ودراسة الأمر عن قُرب .

نهض (نور) من مقعده ، وأخذ يسير فى الغرفة صامتًا ، ثم استند إلى النافذة ، وأخذ يحكّ ذقنه بيده فترة ، شاركه فيها رفيقاه الصمت ، إلى أن رفع رأسه بغتة متهلِّلا ، وقال :

ــ لقد نسينا أمرًا يا رفاق .

نهض (محمود) من مقعده لشدة انفعاله ، على حين هتفت (سلوى) :

ــ ما هو هذا الشىء يا (نور) ؟

قال (نور) ، وهو يتحرَّك فى انفعال كعادته :

ــ بل من هو يا عزيزتى ؟.. إنه ذلك الرجل المدعو (نادر جمال) .. إنه يعمل كرئيس للعلاقات العامة بنادى

الصيد بالجزيرة ، وهو نفسُ المكان الذى توجَّه إليه (رمزى) قبل اختطافه ، ثم إنه هو الرجل الذى أعاد الأدوات التى استأجرها القتيل .. لا شك أن مفتاح حلِّ اللُّغز بأكمله يكْمُن فى هذا الرجل .

صاح (محمود) فى توتُّر :

ــ ولكن كيف يمكننا التوصُّل إليه .. لقد حذَّرَنا مختطفو (رمزى) من مواصلة البحث .

ارتسمت ابتسامة ماكرة على شفتى (نور) ، وهو يقول :

ــ يقولون إنه لا يفل الحديد إلا الحديد يا (محمود) .

سأله (محمود) فى دهشة :

ــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

اتسعت ابتسامة (نور) الخبيثة ، وهو يقول :

ــ أعنى أنهم ما داموا قد اختطفوا زميلنا ليهدِّدونا ، فالحل الأمثل هو أن نختطف نحن زميلهم .

صاحت (سلوى) غير مصدِّقة :

ـ (نور) .. هل تعنى أننا ؟

أجابها فى هدوء :

ـ نعم يا زوجتى العزيزة .. سنقوم اليوم باختطاف السيِّد (نادر جمال) ، مستعينين بكل خبراتنا التكنولوجية البوليسية .

* * *

اتسعت عينا (نادر) دهشة ، حينما رأى (سلوى) وهى تخطو فى هدوء داخل مكتبه ، وتجلس على المقعد المواجه له دون أن تستأذنه ، ولكنه لم يلبث أن تغلَّب على دهشته ، وابتسم ساخرًا وهو يقول متظاهرًا بالاحترام :

ـ أيَّة خدمة يمكننى أن أقدِّمها لك يا آنسة ؟

قالت (سلوى) فى هدوء :

ـ سيِّدة يا سيِّد (نادر) .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ حسنًا .. ماذا تريدين يا سيِّدتى ؟

مالت نحوه ، وقالت فى هدوء ، وهى تحدِّق فى عينيه :

ـ أريد أن أعلم أين أخفيتم (رمزى) ؟

تكوَّنت ضحكة كبيرة فى عينى (نادر) لم تلبث أن عبَرت ملامحه ، واستقرت فوق شفتيه ، ثم انطلقت عالية مجلجلة .. كان مطمئنًّا إلى أن (سلوى) لا يمكنها أن تسبِّب له أى أذى ؛ لأنها تخشى على حياة زميلها ، ولأنَّ غرفته مصنوعة من الزجاج الشفَّاف ؛ بحيث يراهم جميع روَّاد النادى ، ولأنها امرأة ، يجبرها تكوينها على أن تكون الأضعف .. ولذا فقد مال إلى الأمام ، ونظر فى عينيها بتحدٍّ قائلًا :

ـ ربما أخبرك أين ندفن جثته يا جميلتى .

ابتسمت فى هدوء ، وهى تقول :

ـ هل أنت مصرٌّ على الصمت يا سيِّد (نادر) ؟

ازداد التحدِّى فى نظرات (نادر) ، وهو يقول :

ـ كل الإصرار يا سيِّدتى .

مسَّت (سلوى) بأناملها زرًّا صغيرًا مثبتًا فى ساعة يدها ، وهى تقول :

— كما تشاء يا سيِّد (نادر) .

وفجأة شعر (نادر) بطنين شديد فى أذنيه ، ارتفع يملأ مخه ، ويجوس فى أطرافه وخلاياه .. طنين مؤلم ، دفعه إلى أن يغطى أذنيه بكفَّيه ، وهو يصرخ .. وحاول أن يرفع يده ليضغط بها على زرِّ الإنذار المثبت بمكتبه ، ولكنه عجز عن ذلك ، فهو يحتاج إلى مزيد من ضغط كفَّيه ، ليكتم ذلك الرنين الذى يصرخ فى كل ذرَّة من كيانه ..

ومن العجيب أن (سلوى) ظلَّت فوق مقعدها ساكنة هادئة ، تبتسم وهى تتطلَّع إليه .. ثم نهضت فى بساطة ، وأخرجت من حقيبتها منديلاً ورقيًّا صغيرًا ، مسحت به وجهه ، وهى تتظاهر بمعاونته .

ومن خارج المكتب الزجاجى ، صاح (نور) وهو يشير إلى ما يحدث :

— يا إلهى !! يبدو أن السيِّد (نادر) قد أصيب بمرض ما .

وتحرَّك روَّاد النادى وفى مقدمتهم (نور) إلى داخل المكتب ، ولم تكد (سلوى) تبصر زوجها ، حتى عادت

وفجأة شعر (نادر) بطنين شديد فى أذنيه ، ارتفع يملأ مخه ، ويجوس فى أطرافه وخلاياه ..

تضغط الزرّ الصغير المثبت فى ساعتها ، فكفّ الرنين فجأة من أذن (نادر) ، وسقط فاقد الوعى ..

أسرع إليه (نور) صائحًا :

— إننى طبيب .. دعوه لى .

ثم انحنى متظاهرًا بفحصه ، وصاح :

— يا إلهى !! إن جلد وجهه تحوّل إلى اللون الأزرق .. لا ريب أنه مصاب باختناق شديد .

وفى نفس اللحظة توقّفت سيارة صاروخية أمام المكتب ، وقفز منها (محمود) صائحًا :

— إن سيارتى هنا ، ويمكننى أن أنقله فى الحال إلى المركز الطبّىّ للإسعاف العاجل .

قال (نور) فى اهتمام :

— نعم .. هذا أفضل يا سيّدى .. وسأصحبكما إلى هناك .

قالت (سلوى) وهى تتظاهر بالبكاء :

— خذانى معكما أرجوكما .. إننى أشعر وكأننى المسئولة عما حدث .

تقدّم رجل عريض المنكبين ، ضخم الجثة منهم ، وقال فى خشونة :

— لا داعى لنقله .. سيفحصه طبيب النادى فى الحال .

صاح (نور) وهو يزيحه عن طريقه :

— لا .. من الأفضل نقله من هنا فى الحال .

ساعد الروّاد (نور) — الذى يظنّونه طبيبًا — على نقل جسد (نادر) الفاقد الوعى ، إلى السيارة الصاروخية ، وسرعان ما استقلتها (سلوى) إلى جوار (نور) ، وانطلق (محمود) يقودها مبتعدًا ، ولم تكد السيارة تبتعد عن النادى حتى أطلق (محمود) ضحكة عالية ، وقال :

— رائع أيها القائد .. لقد نجحت خطتك ، وأمكننا اختطافه أمام أعين الجميع .

ضحكت (سلوى) ، وقالت وهى تنزع قطعتين مطاطيتين من أذنيها :

— إنه لم يحتمل التردُّد الصوتى المرتفع .. لقد خشيت فى إحدى المراحل أن يتحطّم زجاج المكتب .

ابتسم (نور) فى هدوء ورزانة ، وهو يقول :

ـــ إن الخطة لم تنجح إلى هذا الحدّ يا رفاق .

صاحت (سلوى) :

ـــ كفاك تواضعًا يا (نور) .. ها هو ذا (نادر) بين أيدينا والسيِّد (عيسى) مدير الفندق ينتظرنا ، وقد أعدَّ لنا غرفة خاصة لاستجوابه .. ألا تسمِّى هذا نجاحًا ؟

قال (نور) فى هدوء ، وهو يستند بظهره إلى مقعده :

ـــ لقد قامرنا بهذه الخطوة يا عزيزتى ، ولكن لو أن (نادر) لم يعترف بكل مالديه ، فسيكون مصير (رمزى) هو أن يقضى ما بقى له من العمر أعمى ، له عينان سوداوان مرعبتان .

* * *

٦ ـــ الاستجواب ..

فتح (رمزى) عينيه فى صعوبة ، وبذل مجهودًا كبيرًا ليحافظ على جفنيه مرفوعين ، ولم تلبث دهشته أن تغلَّبت على خوفه ، وهو ينظر إلى المعمل الضخم المنسَّق ، ذى الجدران المصقولة اللامعة ، والسقف المرتفع الذى يجلس داخله .. كان معملًا مجهَّزًا بكل المعدات والآلات الحديثة المعروفة حتى اليوم ، إلى جوار آلات لم يتعرَّفها (رمزى) .. إما لأنها أحدث مما يعلم ، أو لأنَّ العالَم لم يعلن وجود مثلها بعد ..

وانتبه (رمزى) إلى أنه مقيَّد فوق مقعد إسفنجى وثير ، فى منتصف المعمل تمامًا ، وأمامه أنبوب زجاجى مثبت فوق حامل فضىّ ضخم ، والأنبوب متدرِّج القطر ، بحيث يبدأ أمام عينى (رمزى) بنصف قطر لا يتعدَّى السنتيمتر الواحد أو أقل ، وينتهى عند مرآة ضخمة بنصف قطر طوله نصف متر تقريبًا ..

تساءل (رمزى) عن مكان هذا المعمل وأصحابه .. وسرح به تفكيره حتى تيقَّظ فجأة ، منتفضًا على صوت عميق يقول فى هدوء :

ـ هل استيقظت يا سيِّد (رمزى) ؟

استدار (رمزى) إلى مصدر الصوت ، فطالعه نفس الشخص الذى رآه مسبقًا فى غرفته فى الفندق ، قبل أن يفقد وعيه .. كان رجلًا فى الستينات من عمره ، طويلًا إلى درجة عجيبة .. نحيلًا إلى حدِّ الهزال ، وإن شفَّ بريق عينيه وعرض جبهته عن الذكاء الحادّ ، ومن الممكن أن توصف عيناه بأنهما جاحظتان لشدة نحوله ، كما أن وجهه برأسه شبه الأصلع المغطّى عند منتصفه بشريط من الشعر الأشيب ، ينسدل على مؤخرة رأسه ، وفوق أذنيه ، كان يشبه البيضة .. وكان الرجل يرتدى معطفًا أبيض اللون ، ويضع يديه فى جيبيه ، وهو صامت يبتسم ، فأجابه (رمزى) فى هدوء :

ـ نعم .. لقد استيقظت ، ولكننى لا أدرى أين أنا ؟

ابتسم الرجل النحيل ابتسامة عريضة ، شملت وجهه بأكمله ، وهو يقول :

ـ أنت فى معملى الخاص يا دكتور (رمزى) ..

ثم استطرد فى اهتمام ، وكأنه يتأكَّد مما لديه من معلومات :

ـ أنت طبيب متخصِّص فى الطبِّ النفسىّ .. أليس كذلك ؟

أومأ (رمزى) برأسه مؤمِّنًا على قوله ، وقال :

ـ بلى .. إننى كذلك .. هل يمكننى أن أعرف من أنت ؟

رفع الرجل رأسه البيضاوى إلى أعلى ، وتألَّقت عيناه بشكل يؤكد مدى فخره واعتداده بنفسه ، وهو يقول :

ـ أنا أعظم عالم أنجبته مصر .. وربما العالم أجمع يا فتى .. أنا الدكتور (هاشم حدَّاد) .

اتسعت عينا (رمزى) دهشة ، وتمتم فى ذهول :

ـ (هاشم حدَّاد) ؟! أستاذ الطاقة بجامعة القاهرة ؟!..

ولكنهم يقولون إنك لقيت مصرعك منذ عام و ....

قاطعه الدكتور (هاشم) صائحًا :

ــ هل أبدو لك كالجثة يا فتى ؟ .. أنا الذى أوحيت لهم بذلك ؛ لأننى سئمتهم .. مللتهم .. لم يصل أحد منهم إلى مقدار نصف عبقريتى .

لزم (رمزى) الصمت ولم يقاطعه ، وهو يستطرد فى أسلوب جنونى :

ــ إنهم أغبياء .. يحملون ألقاب العلماء زيفًا وبهتانًا .. لقد رفضوا أسلوب عملى تمامًا .. رفضوه لمجرَّد أنه يخالف هذا السخف المسمَّى بالمشاعر الآدمية .

ثم أزاح الأنبوب الزجاجى عن عينى (رمــزى) ووجهه ، إلى لوح من الخشب فى نهاية المعمل ، وهو يقول متفاخرًا :

ــ انظر يا فتى .. انظر وأخبرنى .. هل رأيت شيئًا مثل هذا ؟

ثم ضغط زرًّا صغيرًا فى الطرف العريض للأنبوب ، خُيِّل

لـ (رمزى) بعدها أن عاصفة أو ما شابـــه ذلك قد بدأت تتكوَّن داخل الجزء الواسع ، لم تلبث أن اتجهت فى سرعة نحو الجزء الضيِّق الدقيق من الأنبوب ، ثم اندفعت من ثقب صغير فى نهايته ، وشقَّت طريقها فى الهواء نحو اللَّوح الخشبىّ ، سقطت فوقه تحرقه ببطء .. تحرق بشرته الخارجية فقط ..

واتسعت عينا (رمزى) ذهولًا ، فقد كانت هذه الأشعة ذات لون داكن للغاية .. كانت خيطًا من الضوء الأسود .

* * *

فتح (نادر جمال) عينيه ، وتطلَّع فى دهشة إلى وجوه أفراد الفريق وهم ينحنون فوقه ، ينتظرون عودته إلى وعيه ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، حينما وقع بصره على وجه (عيسى عوض) مدير الفندق ، وقال فى جرأة :

ــ هل أحضرتمونى إلى الفندق لاستجوابى ؟

صاح (عيسى) فى حماس :

واتسعت عينا (رمزى) ذهولًا ، فقد كانت هذه الأشعة ذات لون داكن للغاية .. كانت خيطًا من الضوء الأسود ..

ـــ نعم .. إنه المكان الأمثل أيها المجرم .

أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وسأل (نادر) :

ـــ أين (رمزى) يا سيِّد (نادر) ؟

ابتسم (نادر) فى سخرية ، وقال :

ـــ يبدو أنكم أخطأتم الشخص يا سادة ، فأنا رئيس العلاقات العامة بنادى الصيد ، ولست مدير إدارة البحث عن المفقودين .

قال (نور) فى صوت بارد ، تثلَّج له الدم فى أطراف (نادر) :

ـــ لقد اختفى (رمزى) بعد أن قابلك مباشرة يا سيِّد (نادر) ، ونحن نؤمن بأنك الوحيد الذى يعرف مكانه ، ولن نتركك حتى تخبرنا أين هو ، ولو اضطررنا إلى تمزيقك إربًا من أجل ذلك .

صاح (نادر) فى غضب :

ـــ لا يمكنك أن تفعل ذلك .. إن القانون ينص على ...

قاطعه (نور) فى برود ، قائلًا :

ـــ لن أتبع القانون يا سيِّد (نادر) .. سأتجاوز عنه ، وأتعامل معك كالمجرمين .. ولو أنك لم تخبرنى أين (رمزى) فى خلال خمس دقائق فقط ، فسأحرمك من الرؤية مدى الحياة .

قال (نادر) فى تحدٍّ ، وهو يميل برأسه إلى الأمام :

ـــ بل زميلكم هو الذى سيحرم من نور عينيه ، لو أنكم لم تتركونى فى الحال .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وقال :

ـــ هذا اعتراف صريح يا سيِّد (نادر) ، ولقد قبلنا التحدِّى ، ولنَرَ من منا يستسلم أولًا ؟

* * *

قال (رمزى) وهو يهزُّ رأسه فى عناد ، فى مواجهة الدكتور (هاشم حدَّاد) :

ـــ لا يا دكتور (هاشم) .. لسنا رجال شرطة .. إننا مجرَّد مجموعة من الأصدقاء ، نقضى فترة استجمام فى جزيرة (شدوان) .

أدار الدكتور (هاشم) أنبوب الضوء الأسود ، حتى أصبح طرفه الدقيق فى مواجهة عينى (رمزى) تمامًا ، وقال :

ـــ أريد الحقيقة يا دكتور (رمزى) ، وإلَّا محوت من عينيك شفافيتهما .

قال (رمزى) بأعصاب قوية :

ـــ صدِّقنى يا دكتور (هاشم) .. لم أقل سوى الحقيقة .

صاح الدكتور (هاشم) فجأة فى عصبية :

ـــ أية حقيقة هذه ؟.. لو أنك تقول الحقيقة ، فمن أين لك معرفة الضوء الأسود ؟

قال (رمزى) بلهجة من يعلم جيِّدًا عدم اقتناع خصمه بما يقول :

ـــ إنه مجرد رمز طاف بذهنى و ....

قاطعه الدكتور (هاشم) ، صارخًا فى جنون :

ـــ هل تحاول خداعى أيها الشاب ؟. هل تظننى أحمق

إلى هذا الحدّ .. أنت كالآخرين .. غبىّ .. سخيف .. لقد أهنتنى إهانة بالغة .. لن أسمح لك .

وتحرّكت يده فى عصبية نحو الزرّ الصغير ، الذى يطلق الأشعة الضوئية السوداء .. وأدرك (رمزى) فى الحال ، أنه أمام رجل دفعته عبقريته الفائقة إلى الجنون .. جنون العظمة مختلطًا بعقدة الاضطهاد كالعادة ، فهو واثق وفخور بنفسه إلى أقصى حدّ ، ولكنه يتصوّر دائمًا أن الآخرين يعملون لهدمه وتحطيمه ؛ ولذا فهو يبادرهم بالعنف والقسوة .. ولا بدّ لمثل هذا الرجل من معاملة خاصة ..

وحمد (رمزى) الله (سبحانه وتعالى) على أنه طبيب نفسى ، وخبير فى التعامل مع أنواع الجنون المختلفة ، ويعلم جيّدًا كيف يتعامل مع رجل مثل الدكتور (هاشم) ..

دار كل هذا فى عقل (رمزى) فى جزء من الثانية ، قبل أن تصل يد الدكتور (هاشم) إلى زرّ الإطلاق ، فأسرع يقول :

ــ لحظة يا دكتور (هاشم) .. لا تحرمنى من معرفة اختراعك العظيم .

توقّفت يد الدكتور (هاشم) ، قبل أن تصل إلى هدفها ، وتألّقت عيناه ، وهو ينظر إلى (رمزى) فى فخر ، فقد أعجبته عبارته وهو يصف اختراعه بالعظمة ، فأعاد يده إلى جانبه ، ورفع رأسه فى غرور ، وهو يلوّح بكفّه قائلًا :

ــ لن يمكنك استيعاب مدى عظمته يا فتى .. إنه معجزة .

شعر (رمزى) بالراحة ، واطمأن إلى أنه قد استطاع جذب انتباه الدكتور (هاشم) إلى نقطة أخرى ، وإن لم يدر كم من الوقت يمكنه ذلك ، إلّا أنه أسرع يقول :

ــ سأحاول يا دكتور (هاشم) .. صحيح أن ذكائى لن يبلغ جزءًا من عبقريتك ، ولكننى سأحاول فهم اختراعك .. على الأقل أنا أعلم أنه لا يوجد ضوء أسود فى الطبيعة ، بحسب ما تقول القوانين الفيزيائية .

انتفخت أوداج الدكتور (هاشم) ، وهو يشير إلى الأنبوب قائلًا :

ـــ هذا صحيح يا دكتور (رمزى) .. من المستحيل وجود ضوء أسود .. ولكن هذا الذى رأيته ليس ضوءًا .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يقول فى دهشة حقيقية :

ـــ ليس ضوءًا ؟!! .. ما هو إذن ؟

لوَّح الدكتور (هاشم) بيده فى حركة مسرحية ، وهو يقول فى ثقة :

ـــ إنه أقوى شعاع كهرومغناطيسى معروف على وجه الأرض يا فتى .. أعظم اختراع عرفه العالم منذ اختراع أشعة اللِّيزر .

هزَّ (رمزى) رأسه غير مصدّق ، وصاح :

ـــ هذا مستحيل .. ليس هناك ما يسمَّى بالشعاع الكهرومغناطيسى .. إن الكهرومغناطيسية عبارة عن موجات انتشارية ، وليس ....

قاطعه الدكتور (هاشم) صائحًا :

ـــ هذا ما قاله العلماء الأغبياء أيضًا يا بنىّ .. نفس ما قالوه عند كشف الليزر .. لم يتصوَّروا يومها أنه من

الممكن جمع طاقة ضوئية كبيرة فى شعاع واحد ، ولكن ها هو ذا اليوم حقيقة واقعة .

صاح (رمزى) فى انبهار ، وقد تغلَّب فضوله العلمى على خوفه :

ـــ وكيف تفعل ذلك ؟

هزَّ كتفيه قائلًا :

ـــ ليس من حقّك معرفة الوسيلة يا سيِّد (رمزى) .. هذا نتاج عام من التجارب المستمرة والسهر المضنى .. يكفى أننى أتبع وسيلة شبيهة بتلك التى تتبع لإنتاج أشعة الليزر ، عبْر قطعة من الياقوت الكريستالى ، ثم البِلَّوْر ، فأعمل على تركيز الطاقة الكهرومغناطيسية عَبْر مجموعة من المحوِّلات الكهربية الدقيقة ، والأقطاب المغناطيسية المنتخبة فى دقة ، من حيث إيجابيتها وسلبيتها ، ثم ....

وتوقَّف فجأة ، وكأنه شعر بعدم جدوى الشرح ، فلوَّح بيده وهو يقول :

ـــ المهم أننى أحصل فى النهاية على شعاع واحد ، يحمل كل طاقة الشحنة الكهرومغناطيسية التى يحصل عليها

جهازى ، وهذا الشعاع يملك قوة جذب مغناطيسية رهيبة ، حتى أنه يمتص كل شىء حتى الضوء ، فلا يعكس أو ينفذ منه شىء ؛ ولذا فهو يبدو كشريط من الضوء الأسود .

قال (رمزى) ، وهو لا يزال مبهورًا بما يسمعه :

ـ أهو نفس الشعاع الذى حرقت به عينى الرجل المسكين ؟

برقت عينا الدكتور بجنون وحشى ، وهو يشير نحو (رمزى) بسبَّابته صارخًا :

ـ لقد وقعت .. لقد اعترفت بصورة غير مباشرة .. لقد زلَّ لسانك ، فنطقت بشىء من المفروض ألا يعلمه سوى عملاء الحكومة .

لم يشعر (رمزى) بالخوف لشدة فضوله من أجل العلم ، فعاد يسأل :

ـ ومن أين تحصل على الطاقة الكهرومغناطيسية يا دكتور (هاشم) ؟

تألقت عينا (هاشم) ، وقال فى فخر :

ـ هذه هى أعظم نقطة فى اختراعى يا فتى .

ثم اقترب من جهاز صغير فى ركن المعمل ، وجذب ذراعًا صغيرة به ، فارتفع صوت صرير خافت ، وتحرَّك جزء من الحائط ، كاشفًا نافذة زجاجية ضخمة ، أشار الدكتور إليها وهو يقول فى فخر :

ـ هذا هو مصدر الطاقة الذى أفيد منه يا سيِّد (رمزى) .. طاقة لا تنضب ما دام الكون حيًّا ينبض .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !! لقد فهمت الآن حل اللُّغز بأكمله .

* * *

شرب (نور) كوبًا من الماء ، والتفت إلى (نادر) قائلًا :

ـ ألمْ تقرِّر الاعتراف بعد يا سيِّد (نادر) ؟

رفع (نادر) رأسه فى تحدٍّ ، وقال :

ـ كم الساعة الآن ؟

نظر إليه الجميع فى دهشة ، وصاح (عيسى) :

— من الأفضل لك أن تعترف أيها المجرم .

سأله (نور) :

— لماذا تسأل عن الوقت يا سيِّد (نادر) ؟

هزَّ كتفيه فى غموض ، وقال :

— إننى أنتظر الليل بفارغ الصبر .

قالت (سلوى) فى دهشة :

— الليل ؟! .. لقد أظلمت الشمس منذ نصف ساعة على الأقل .

برقت عينا (نادر) ، وهو يقول فى شراسة :

— سيكون ظلامًا دائمًا بالنسبة لزميلكم .

انحنى (نور) إلى الأمام ، ونظر فى عينى (نادر) مباشرة ، وقال :

— لقد سبق أن أخبرتك أننا قبلنا التحدِّى يا سيِّد (نادر) .. وما دمت مصرًّا على إنكار معرفتك بـ (رمزى) ، فسأغيِّر السؤال ، وأسألك عن معرفتك بصحفى ، يُدعَى (أشرف حسن) ..

انحنى (نور) إلى الأمام ، ونظر فى عينى (نادر) مباشرة ، وقال :
— لقد سبق أن أخبرتك أننا قبلنا التحدِّى يا سيِّد (نادر) ..

اتسعت عينا (نادر) دهشة ، وكذلك فعل (محمود) و (سلوى) ، فلم يخبرهما (نور) من قبل عن هذا الصحفى .. حتى (عيسى) مدير الفندق تمتم فى قلق :

— (أشرف حسن) ؟!!

وعاد (نادر) فأغلق عينيه ، وقال فى برود :

— لست أعرف شيئًا عن هذا أيضًا .

قال (نور) فى صوت هادئ حازم :

— بل تعرفه يا سيِّد (نادر) .. لقد أعدت الأدوات التى استأجرها إلى نادى الغوص .. إنه ذلك الصحفى المسكين الذى حرقتم عينيه ، وعذَّبتموه جوعًا وعطشًا ، حتى نجح فى الهرب منكم ، برغم فقدانه بصره وضعفه .. هل نسيته هكذا بسرعة ؟

ضمَّ (نادر) شفتيه فى عناد ، ولم ينبس ببنت شفة ، على حين صاحت (سلوى) :

— من أين لك بهذه المعلومات يا (نور) ؟ .. إنك لم تخبرنا بها من قبل .

قال (نور) فى هدوء :

— لقد أخبرنى بها القائد الأعلى ، حينما أسند إلى هذه المهمة يا (سلوى) .. فلقد تمَّ تعرُّف الرجل بعد وفاته مباشرة ، عن طريق بصمات أصابعه ، والتحليل النوعى لدمه .. أمَّا قصة الهروب فهى استنتاج راودنى فى التوِّ ، فقد وجدت من الطبيعى ألَّا يسمح هؤلاء الأوغاد للصحفى المسكين بالخروج من بين براثنهم حيًا ، بعد كل ما عرفه ، فلابدَّ أنه قد هرب ، والطريق الوحيد للهروب من جزيرة (شدوان) هو البحر .. ولا ريب أن المسكين قد انطلق على غير هدًى ، حتى أنه أغرق الزورق الذى هرب به ، وقاوم الأمواج ، حتى وجد نفسه على ساحل (شرم الشيخ) ، وأعتقد أنه وصل إلى داخل القاعدة العسكرية بطريق المصادفة ، وهذا لا يمنع إهمال القائمين على حراستها .. ربمًا لطول الفترة التى ساد فيها السلام .

ابتسم (نادر) فى سخرية ، وقال :

— يا لك من ذكى !! إن عقلك يعلو فوق الجميع .

نظر إليه (نور) فى صمت لحظة ، ثم اتسعت عيناه فجأة ، وبرقتا ببريق مألوف ، جعل قلب (سلوى) ينبض فى عنف ، وجعل (محمود) يهبّ واقفًا ، على حين غمغم (نور) فى صوت خافت تملؤه رنّة النصر :

ــ يا إلهى !! لقد فهمت كل شىء .. لقد أضاءت لى عبارتك الأخيرة الطريق إلى الحل أيها الوغد .

* * *

٧ ــ النــور ..

نظر مدير الفندق إلى (نور) فى شكّ ، وتطلّع إليه (نادر) فى تساؤل ، على حين قفز (محمود) من مقعده ، وصاحت (سلوى) فى لهفة وفضول :

ــ هل توصّلت إلى الحلّ حقيقة يا (نور) ؟

ربّت (نور) على كتفها ، وقال فى ثقة وهدوء :

ــ نعم يا عزيزتى .. لقد توصّلت إلى الحلّ بأكمله .

قال (عيسى) فى شكّ :

ــ أخبرنا إذن بما توصّلت إليه أيها الرائد .

صاح (نادر) :

ــ ماذا تنتظر أيها الغبىّ ؟ .. إنه يبدو ذكيًا وسيكشف كل شىء .

وقبل أن يفهم (محمود) أو تفهم (سلوى) ما تعنيه عبارة (نادر) ، كان مدير الفندق (عيسى) قد تراجع

إلى الخلف بضع خطوات ، وأخرج من جيب سترته مسدسًا ليزيًا قويًا ، صوَّبه إلى (نور) ورفاقه ، على حين أطلق (نادر) ضحكة عالية ، وصاح :

ـ لقد أخطأتم حينما وثقتم فى (عيسى) أيها الفتيان .. والآن حلُّوا وثاق ، حتى يخبرنا هذا الرائد العبقرىَّ عمَّا توصَّل إليه .

تجاهل (نور) مطلبه ، وقال فى هدوء ، دون أن يبدو وكأن ما حدث قد أدهشه ، أو على الأقل لم يكن يتوقَّعه :

ـ من قال إننى وثقت فى (عيسى) يا (نادر) ؟.. إننى أشك فيه منذ اختفى (رمزى) من فندقه دون أن يشعر أحد ، ثم تأكَّد شكِّى حينما تبدَّد قلقك ، بمجرَّد رؤيتك له منذ قليل .. لقد كنت أراقب ملامحك جيِّدًا ، وأنت تستعيد وعيك ، وكنت قد تعمَّدت اختيار غرفة (عيسى) للعمل ، وتعمَّدت تواجده معنا ، حتى أرى تأثير ذلك عليك ، ولقد حدث ما توقَّعته تمامًا ، فقد تملَّكك القلق فى البداية ، ثم استعدت هدوءك وجرأتك فور رؤيتك له ، وهكذا تأكَّدت أنكما تعملان معًا .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، على حين صاح (عيسى) فى حنق :

ـ هل تحب أن أزيِّن رأسك بثقب من أشعة مسدسى ، مكافأة لك على ذكائك هذا ؟

ابتسم (نور) ، وقال فى هدوء :

ـ لن يمكنك ذلك يا سيِّد (عيسى) للأسف ، فلقد أفسدت مفعول مسدسك ، ونزعت منه الياقوتة الكريستالية التى تكوِّن أشعة اللَّيزر ، قبل أن أعيده إلى سترتك .

أحنى (عيسى) رأسه ينظر إلى مسدسه فى دهشة ، على حين صاح (نادر) :

ـ لا أيها الغبىّ .

ولكن صيحته التحذيرية جاءت متأخِّرة ، فقد قفز (نور) قفزة رشيقة أنيقة إلى حيث يقف (عيسى) ، وطوَّح بالمسدس اللَّيزرى من يده ، بضربة من حافة يده ، ثم هوى بقبضته اليسرى على فكِّ (عيسى) فى قوة ، ترنَّح لها

هذا الأخير ، وأعقبها بلكمة من يمناه فى بطنه ، تأوَّه على إثرها مدير الفندق ، ثم سقط أرضًا ، بعد أن هوى (نور) بقبضتيه المضمومتين على مؤخرة عنقه ، فأرسله فى غيبوبة عميقة ، فى نفس الوقت ، الذى صرخ فيه (نادر) غاضبًا :

ـ أيها الغبىّ .. لقد خدعك .. لقد خدعك .

ابتسم (نور) وهو يتناول مسدس (عيسى) ، ويدسّه فى سترته قائلًا :

ـ سبق السيف العزل يا سيِّد (نادر) .. لم تعد هناك فائدة لصراخك .

صاح (نادر) ، وقد تحوَّل تحدِّيه إلى قلق وخوف :

ـ أنت مخادع يا فتى .. من المستحيل أن تتوصَّل إلى حقيقة الضوء الأسود .

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ ربَّما لا ، ولكننى أوقعت بمن سيخبرنى بالسرّ ، وكشفت باقى الألغاز يا سيِّد (نادر) .

خرجت من بين شفتى (نادر) ضحكة ساخرة مكتومة ، فابتسم (نور) ، وقال :

ـ حسنًا يا (نادر) .. استمع إلىَّ ، وسأخبرك بما يدهشك .

ثم جلس على مقعد قريب مواجه لـ (نادر) ، وقال :

ـ لقد أعطيتنى أنت مفتاح اللُغز ، حينما تحدَّثت عن الغُلوّ ، وحينما سألت عن الساعة وعن حلول الليل يا (نادر) .. فمنذ البداية كان أمامى لُغز مكوَّن من خمسة أجزاء .. رجل يصل إلى قاعدة عسكرية بعينين محروقتين ثم يموت ، وقبل أن يموت يتحدَّث عن ضوء أسود ، وإحداثيات جغرافية ، وبحر ، ويشير إلى السماء .. ولقد حللنا جزأين من هذه الأجزاء الخمسة ، حينما حدَّدنا إحداثيات (شدوان) فى البحر الأحمر ، وبقيت أمامنا ثلاثة أجزاء .. وصول الرجل إلى القاعدة ، وحديثه عن الضوء الأسود ، وإشارته إلى السماء ..

وابتسم وهو يستطرد :

— وأصدقك القول ، أننى تصوَّرت فى البداية أن إشارته إلى السماء تعنى أن خصومنا من سكان الكواكب الأخرى ، بدليل وجود هذا الضوء الأسود غير المعروف على كوكبنا ، ولكن وجودك فى الصراع جعلنى أعيد التفكير فى الأمر ، وجاء تحليل (محمود) الخاص بالأشعة الشبيهة بالليزر ، وبحثه عن مصدر طاقتها ليضىء جزءًا آخر من الحل ، فلقد أثبتنا بما لا يدع مجالاً للشك وجود نوع مختلف غير معروف من الأشعة ، هو الذى حرق الباب المصنوع من (البولى إيثيلين) ، ولكننا لم نحدِّد كنهها ، ولا نوع الطاقة ، التى تعتمد عليها .. وهنا اقترح (محمود) أن مصدر الطاقة قد يكون الشمس ، ثم عاد وقال إنها مصدر طاقة أقوى من المطلوب ، ولقد اختزنت هذه العبارة فى ذهنى ، حتى أشرت أنت إلى العُلُوّ .

صمت (نور) لحظة ، ثم استطرد مبتسمًا :

— وهنا فهمت كل شىء ، فلم يكن الصحفى المسكين يشير إلى السماء لينبِّهنا إلى غزو من الفضاء ، وإنما يشير إلى النجوم كمصدر لطاقة الضوء الأسود .

صاح (محمود) فى انفعال :

— يا إلٰهى !! هذا صحيح يا (نور) .. أنت عبقرى .. عبقرى بحقّ .. النجوم هى المصدر المنطقى لمثل هذه الطاقة ، فهى تعطى ضوءًا يبدو ضئيلاً فى مفرده ، ولكنه قوى للغاية ، إذا ما جمعناه فى نقطة واحدة ، أو شعاع واحد ، بالإضافة إلى أنها تعطينا بخلاف ضوء الشمس نبضات منتظمة ، يمكنها أن تخلق مجالاً كهرومغناطيسيًّا و ....

ثم صاح فجأة :

— يا إلٰهى !! لقد توصَّلت إلى طبيعة الضوء الأسود يا (نور) .

أشار إليه (نور) أن يتوقَّف ، وقال :

— فلنؤجِّل ذلك لما بعد يا عزيزى (محمود) .

ثم عاد يلتفت إلى (نادر) ، وقال :

— كلمة العُلُوّ أيضًا نبَّهتنى إلى شىء آخر .. فحينما استأجر (أشرف حسن) أدوات غوص وصيد ، أوحى

إلينا دون أن ندرى إلى أن الشىء الذى يبحث عنه يختفى تحت الماء ، ولكنه فى الواقع فى أعلى المرتفع الصخرى ، الذى يطل على جنوب الجزيرة مختفيًا بمهارة .

تدلَّت فكّ (نادر) وهو ينظر إلى (نور) فى دهشة ، على حين استطرد هذا الأخير فى هدوء :

ــ ولقد توصَّل (أشرف) إلى المخبأ ، وكان ذلك من سوء حظه ، فصحيح أنه كشف سرّ الضوء الأسود ، ولكنكم أمسكتم به ، وعذَّبتموه جوعًا وعطشًا ، ثم أحرقتم عينيه فى وحشية ، ودونما رحمة ، وألقيتم به ليموت ، ولكنه نجا على الرغم منكم ، وشاءت العناية الإلهية أن يخترق حراسة قاعدة عسكرية ، دون أن يرى أو يدرى ، ويصل إلى داخلها حيًّا ، حتى يخبرنا بالكلمات البسيطة التى قادتنا إلى حلّ اللُّغز .

انهار رأس (نادر) على صدره ، وهو يغمغم فى ضعف وتخاذل :

ــ كيف توصَّلت إلى كل ذلك ؟

رفع (نور) رأسه ، وقال :

ــ هل لديك ما تضيفه أيها الوغد ؟

قال (نادر) فى صوت ضعيف :

ــ أتعدنى بتخفيف العقوبة عنِّى ، لو أننى أدليت بكل ما أعرف .

ثم رفع رأسه ، وظهرت الضراعة فى عينيه الدامعتين ، وهو يقول فى توسُّل :

ــ أرجوك .. سأخبركم أين زميلكم الآن .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ لست أملك تخفيف العقوبة يا (نادر) ، ولكن مساعدتك سيكون لها أثر فعَّال ولا شكّ .. هيَّا .. قل ما عندك .. كلِّى آذان صاغية .

* * *

٨ ـ الختام ..

ثبَّت الدكتور (هاشم حدَّاد) فى هدوء ، آلة صغيرة فى عينى (رمزى) ، تجبره على فتح عينيه عن آخرهما ، وتعجزه عن إغلاق جفنيه ، ثم توجَّه إلى أنبوب الطاقة الخاص بالضوء الأسود ، فجلس على مقعد إلى جواره ، وأخذ يعدِّل من وضع وزاوية الأنبوب ، مستعينًا بأجهزة كمبيوتر دقيقة ، حتى أصبح الطرف الدقيق من الأنبوب فى مواجهة عينى (رمزى) تمامًا ، وحاول هذا الأخير إبعاد عينيه ، ولكن الكلَّابة الفولاذية التى تمسك رأسه منعته من ذلك ، فقال محاولًا التظاهر بهدوء الأعصاب :

ـ هل ستحرق عينيّ كما فعلت بالآخر ، يا دكتور (هاشم) ؟

قال الدكتور (هاشم) فى هدوء ، وكأنه يهم بأداء عمل طبيعى بسيط :

وأخذ يعدِّل من وضع وزاوية الأنبوب ، مستعينًا بأجهزة كمبيوتر دقيقة ، حتى أصبح الطرف الدقيق فى مواجهة عينى (رمزى) ..

ـــ ليس أمامى سوى ذلك يا عزيزى ، فلقد رأيت ما لا يجب أن تراه .

ازدرد (رمزى) لعابه ، وقال :

ـــ أليس من الأفضل قتلى ، بدلًا من تعذيبى بهذه الوسيلة البشعة ؟

ابتسم (هاشم) فى هدوء ، وقال :

ـــ لا بأس من اختبار كفاءة الأشعة .

قال (رمزى) فى حدَّة :

ـــ هل تعتبر البَشرَ مجرد حيوانات تجارب ، فتحرق عيونهم ، أو تشوِّه ملامحهم ، من أجل اختبار أشعتك اللعينة فقط ؟

قال (هاشم) فى هدوء :

ـــ ليس كل البشر .. فقط من يدسُّون أنوفهم فى أمورى .

ثم استطرد وكأنه يشرح الأمر :

ـــ لقد جاء هذا الصحفى الوغد وهو يبحث عنّى .. لست أدرى كيف توصَّل إلى أننى ما زلت على قيد الحياة ،

فأخذ يبحث عنّى فى إصرار .. إنه صحفى ناجح ولا شك ، فقد وصل إلى معملى هنا ، مقتفيًا أثرًا ضئيلًا للغاية ، وقد قدَّرت عبقريته ، ولكننى عاقبته بأن جعلت منه أول حيوان تجارب لاختبار مدى فاعلية أشعتى .

كان (رمزى) يعلم أنه فريسة رجل مجنون ، وأنه ليس أمامه إلَّا إضاعة الوقت فى انتظار ما تسفر عنه الأحداث ، فقال :

ـــ ولكن كيف أعطتك النجوم كل هذه الطاقة يا دكتور (هاشم) ؟

نظر الدكتور (هاشم) إلى عينى (رمزى) طويلًا ، ثم ابتسم فى مكر ، وقال :

ـــ لن يفيدك إضاعة الوقت أيها الشاب ، فالنهاية واحدة .

شعر (رمزى) بحنق بالغ ، ودفعه يأسه إلى أن يهتف قائلًا :

ـــ أنت مجنون .

برقت عينا الدكتور (هاشم) ببريق جنونى ، وهو يقول :

ــ لا تصفنى بهذه الصفة مرة ثانية .. سأحرق لسانك أيضًا ، عقابًا لك على ذلك .

وفى نفس اللحظة ارتفع صوت أزيز خافت ، فتوقَّف الدكتور (هاشم) عن إتمام عمله ، واستدار ينظر إلى الرجل الذى دخل معمله ، وسأله فى دهشة :

ــ (نادر) ؟! .. ماذا أتى بك إلى هنـــا فى هذه الساعة ؟

وفجـأة برز (نور) من خلف (نادر) ، وصوَّب مسدسه إلى الدكتور (هاشم) ، قائلًا :

ــ لقد انتهى كل شىء يا دكتور .. لقد انكشف الأمر ، وليست هناك فائدة فى الاستمرار .

صاح (رمزى) فى سعادة ، حينما رأى وجه (نور) :

ــ يا إلهى !! (نور) ؟! .. شكرًا لله لقد نجوت .

وعلى العكس فقد امتقع وجه الدكتور (هاشم) ، وصرخ فى جنون :

ــ انتهى كل شىء ؟! .. أنت واهم أيها الشاب .. لقد خاننى (نادر) ، ولكننى لن أستسلم .. إنه كفاح عام كامل .. أنت الذى سيستسلم يا فتى ، وإلَّا أحرقت عين زميلك هذا .

وأعقب عبارته بأن رفع يده ، ولمس الزِّرّ الصغير الذى يتحكَّم فى إطلاق الضوء الأسود القاتل ، وهو يعاود صراخه الجنونى قائلًا :

ــ سأضغط الزِّرّ لو أنك تحرَّكت حركة واحدة أيها الشاب .

نظر (نور) إلى (رمزى) المقيَّد على المقعد ، ورأسه ثابت ، وعيناه مفتوحتان على الرغم منه ، وإلى الطرف الدقيق من الأنبوب الزجاجى ، الذى يبعد عن عينيه سنتيمترات قليلة ، ثم إلى المرآة المستقرة عند القاعدة العريضة للأنبوب ، وقال :

ــ أنت تزيد موقفك حرجًا يا دكتور (هاشم) .

عاد الدكتور (هاشم) يقول فى عناد شديد :

— استسلم أو أضغط الزِّرّ يا فتى .

وفجأة أزاح (نور) (نادر) من أمامه ، وقبل أن يضغط الدكتور (هاشم) على الزِّرّ ، كان (نور) قد أطلق أشعة مسدسه اللّيزرىّ .

* * *

تصوَّر (رمزى) أن (نور) قد أطلق مسدسه ، ليدمّر أنبوب الطاقة ، وظنّ (نادر) أن أشعة الليزر موجَّهة إلى رأس الدكتور (هاشم) ، ولكن الأشعة خالفت كليهما ، ودمَّرت المرآة التى كانت تستقر عند قاعدة أنبوب الطاقة العريضة ..

صاح الدكتور (هاشم) فى جزع :

— ماذا فعلت أيها التعس ؟

قال (نور) فى هدوء :

— التصرُّف المنطقى الوحيد يا دكتور .. كان من الممكن أن أقتلك ، ولكن هذا يخالف مبادئى ، ثم إننى خشيت أن تتقلّص عضلاتك ، حينما تصيبك أشعة الليزر ،

فتضغط أصابعك على الزِّرّ المميت .. كما كان بإمكانى أن أحطِّم أنبوب الطاقة ، ولكن أحد أطرافه كان على بعد سنتيمترات من عينى (رمزى) ، فخشيت أن تؤذيه الشظايا ؛ ولذا كان لابدَّ من تحطيم المرآة ، التى تجمع ضوء النجوم .

صاح الدكتور فى أسى :

— كان من المفروض أن تنعكس أشعتك على المرآة لا أن تدمِّرها .

ابتسم (نور) وقال :

— هذا صحيح لو أننى أصبتُ سطحها العاكس يا سيِّدى ، ولكننى فى الواقع أصبت قاعدتها المعتمة متعمِّدًا .

دفن الدكتور (هاشم) وجهه فى كفَّيه ، وصاح باكيًا :

— لقد حطَّمت حصيلة عمرى بأكمله .. حطَّمت حياتى وآمالى .

قال (نور) فى قسوة :

ــ هذا خير من أن تحطِّم أنت حياة الآخرين يا دكتور .

أخذ الدكتور (هاشم) يتحرَّك فى معمله صائحًا :

ــ أنت لا تدرى شيئًا .. كل كشف عظيم كانت له ضحايا .. هذا هو ثمن العلم .

قال (نور) فى اشمئزاز :

ــ يا له من ثمن قبيح !!

وفجأة قفز الدكتور (هاشم) نحو أحد أجهزته ، وضغط زرًّا أصفر يعلوها ، ثم أخذ يقهقه فى جنون أثار دهشة الجميع ، وقال :

ــ لا يمكنك هزيمتى يا فتى .. لقد أشعلت جهاز الطوارئ القصوى .. إننى أكره البقاء خلف القضبان .. سينفجر كل شىء بعد دقيقة واحدة .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يقول فى جزع :

ــ يا إلهى !! إن (سلوى) و (محمود) ينتظران فى الحوَّامة خارجًا .

لم تتوقَّف ضحكات الدكتور (هاشم) الجنونية ، حتى عندما انطلق (نادر) يجرى فى رعب إلى خارج المعمل السرِّىّ ، وقفز (نور) يحاول حلّ وثاق (رمزى) .. بل إن الدكتور (هاشم) لم يحاول حتى منع (نور) ، وإنما ظل يقهقه ضاحكًا ، وقد برقت عيناه بكل معانى الجنون ، وازدادتا جحوظًا وهو يراقب ما يحدث ، وكأنه يشاهد فيلمًا فكاهيًّا ..

لم يكد (نور) يحل وثاق (رمزى) ، حتى قفز هذا الأخير ، وصاح :

ــ أسرع أيها القائد ، لم تعد أمامنا سوى نصف دقيقة .

صاح فيه (نور) :

ــ انطلق بأقصى سرعة إلى الخارج يا (رمزى) ، وسألحق بك .

توقَّف (رمزى) ، وسأله فى دهشة .

ــ ماذا تنوى أن تفعل بحقِّ السماء ؟

أشار (نور) إلى الدكتور (هاشم) صائحًا :

ــ سأحاول إنقاذه ، فهو بشر مثلنا .

صرخ (رمزى) :

ــ إنه قاتل .

صاح (نور) :

ــ إنه بشر .. وليس على المجنون حرج .

ولكن الدكتور (هاشم) حسم حديثهما صارخًا :

ــ لن ينقذنى أحد .. إن القبطان يقضى نحبه مع زورقه ، وسأموت إلى جانب اختراعى .

صرخ (رمزى) :

ــ إنها ربع دقيقة فقط يا (نور) .. لابدَّ لنا من الابتعاد بالزورق .

وفجأة أخرج الدكتور (هاشم) من معطفه مسدَّسًا ليزريًا ، صوَّبه نحوهما قائلًا فى جنون :

ــ ابتعدا عن هنا أيها الغبيَّان .. إنه اختراعى وحدى ، وسأموت إلى جواره وحدى .

حسم هذا التصرُّف تردُّد (نور) ، فاندفع هو و (رمزى) نحو المخرج السِّرِّىّ للمعمل ، والثوانى تمر .. أربع عشرة ثانية .. قفز (رمزى) إلى البحر وغاص فى مياهه ، وتبعه (نور) ، وبقيت عشر ثوان .. وصعد كلاهما إلى الحوَّامة .. تلقَّفتهما أيدى (محمود) و (سلوى) ، ودار محرِّك الحوَّامة الذرىّ ، وبقيت خمس ثوان .. وانطلقت الحوَّامة مبتعدة .. ثلاث ثوان .. اثنتان .. واحدة ....

وانفجر الجزء الصخرى المرتفع فى المنطقة الجنوبية من جزيرة (شدوان) السياحية .. انفجارًا قويًّا ، أيقظ سكان الجزيرة ، وزوارها وسائحيها ، وتصاعدت نيران هائلة أضاءت السماء ، وحجبت ضوء النجوم ..

أوقف (نور) محركات الحوَّامة ، التى كانت قد ابتعدت كثيرًا ، ووقف على حافتها ، يراقب مع الآخرين النيران المشتعلة فى المعمل السِّرى السابق ، وقد شملهم الصمت ، إلى أن همست (سلوى) ، وكأنَّها تخشى أن يزعج صوتها الآخرين :

قفز (رمزى) إلى البحر وغاص فى مياهه ، وتبعه (نور) ..

ـ لقد انتهى كل شىء .. أليس كذلك ؟

أجابها (نور) دون أن يرفع عينيه عن النيران :

ـ بلى يا (سلوى) .. لقد انتهى عالم مجنون .

مطَّ (رمزى) شفتيه فى أسف ، وقال :

ـ لقد ازدادت عبقريته حتى دفعته إلى الجنون دفعًا .

قال (نور) فى ضيق :

ـ لقد باع إنسانيته فى سبيل كشف جديد يا (رمزى) ، وهذا هو سبب جنونه .

قال (رمزى) :

ـ لقد كشف لى سرّ الضوء الأسود .. لقد رأيته بعينى .. تصوَّر .. شريط من الضوء الأسود اللون .

قال (محمود) فى اهتمام :

ـ إنه شريط كهرومغناطيسى .. أليس كذلك ؟

هتف (رمزى) فى إعجاب :

ـ يا لك من عبقرى !! إنه كذلك بالفعل .

أشار إليهما (نور) أن يصمتا ، وقال :

ــ فيما بعد يا رفاق .. سنناقش التفاصيل .. أما الآن فسنلجأ إلى بعض الراحة ، وقليل من الاستجمام .

سألته (سلوى) فى لهجة هى أقرب إلى الطلب منها إلى التساؤل :

ــ هل نبقى وقتًا فى (شدوان) يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وقال وهو يضمها إليه :

ــ إننى أفضل ذلك يا عزيزتى ، فأنا أعتقد أن جزيرة (شدوان) هى أعظم المزارات السياحية فى العالم أجمع .

ثم عاد ينظر إلى النيران ، وهو يردف فى لهجة تشفّ عن الراحة :

ــ وخصوصًا بعد أن طهَّرتها النيران ، من رعب (الضوء الأسود) .

* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف

د. نبيل فاروق

٢٤

• الضوء الأسود •

- ما سرّ الرجل الذى احترقت عيناه بطريقة غامضة فى مكان مجهول ؟
- هل هناك علميًّا ما يسمى بالضوء الأسود ؟ وما علاقته بذلك الرجل ؟
- تُرى .. هل يتمكن (نور) وفريقه من تحدّى الغموض ، وحلّ لغز الضوء الأسود ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .

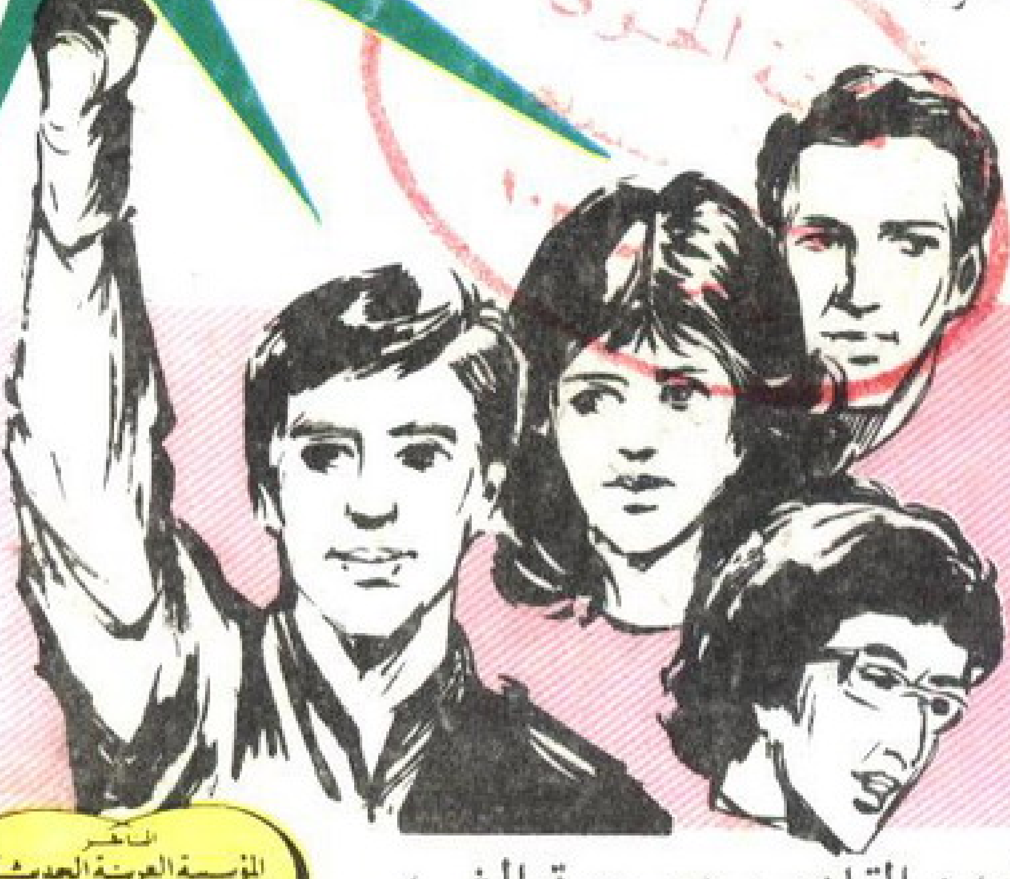

العدد القادم : (صحوة الشر)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع